قلقاس بن فرناس

رواية

عمرو البَالي

obeikandl.com

21
عمرو البدالي
قلقاس بن فرناس
رقم الايداع / ١٥١٥٢/ ٢٠١٤ط١
الترقيم الدولى /٩- ٨٤ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨
غلاف / سارة سليمان
حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر
ليليت للنشر والتوزيع
الإشراف العام / إيمان سعيد
رئيس لجنة القراءة
د/ سالم ابراهيم سالم
مدقق لُغوي / أ- محمد فهمي

المراسلات : ٦٠ ش سكينة بنت الحسين
كفر عبده - الإسكندرية
ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧
: ٠١٠١٧١٨٠٩٣٨
Dar.lilitte@gmail.com
lilettepublishing@gmail.com
www.lilithpublishinghouse.com

obeikandl.com

بعد سنتين من العناء ..

أهدي روايتى تلك الى أبى وأمى

الى زوجتى وابنتى الحبيبتان

الى صديقى آسر أبو السعود

الى أستاذى العزيز الذى تعلمت منه الكثير

الى النجم محمد صبحى

أحبكم كثيرا

obeikandl.com

obeikandl.com

آدم قلقاس

لم يخطر على بال آدم قلقاس أن يصل عمه إبراهيم قلقاس - ذو الستون عامًا- بعد كل هذا العناء إلى هذا الاختراع العجيب ، ابتسم آدم وهو يرتدي معطفه الأسود المفضل لديه ناظرًا إلى المرآة متذكرًا عدد المرات التي سخرت فيها عائلته الصغيرة من عمه.اتسعت عيناه متذكرًا كلمات والده محمد قلقاس - رحمه الله - عليه في إحدى المرات ، وهو يشرب فنجان من القهوة في شرفة منزلهم القديم.

- نفسك تطلع ايه يا آدم ؟

فأجابه آدم بتلقائية الأطفال: - نفسى اطلع زى عمى يا بابا.

رمقه والده بنظرته الحادة: - ينهارك أسود .انت عاوز تلسع وتبقى مجنون ؟

دافع آدم عن عمه ببراءة:

— لا يا بابا.عمي إبراهيم مش مجنون ، ده عبقري.

تذكر هذه النظرة الحادة ، والساخرة من والده ، لم يدرِ وقتها ما معنى كلمة عبقري ؟ أنه فقط سمعها مرارًا وتكرارًا من والده ،ولكنه لم يفهم أنها كانت تعنى سخريته من عمه ،وليس الثناء عليه ، تذكر تلك المرة التي انهال فيها والده بالنصائح المتوالية على عمه بدون فائدة كالعادة ،وما كان من إبراهيم قلقاس حينها إلا الابتسام المستفز ، مما زاد

obeikandl.com

من عصبية والده وأرغمه على إنهاء نقاشه الأشبه بالصراخ من طرف واحد بجملة : - انت حر في حياتك .بس اوعي تكون فاكر نفسك عبقري.

لم يدرك آدم سبب كره أبيه لعمه ،ولماذا كان دائمًا منتقدًا له ولسلوكه واتجاهاته ؟ تذكر كيف كان هو الوحيد الزائر لعمه إبراهيم قلقاس من فترة لأخرى في مسكنه الصغير ، تذكر كم كان يتمنى أن يصبح مثل عمه قلقاس غريب الأطوار ، وأن يتبنى أسلوبه في التعامل مع الحياة ، لم يكن إبراهيم قلقاس شخص عادى ؛ فمنذ أن كان شابًا تمرد على كل أساليب الحياة الروتينية ، لم يتزوج ،ولم يحب أو يرتبط بامرأة طوال حياته لدرجة أن البعض اعتقد أنه يملك عقلين عقله الذي في رأسه ،وعقل آخر استبدل به قلبه.

عاش إبراهيم قلقاس خريج كلية العلوم والتكنولوجيا في منزل صغير في عزلة عن المجتمع ،ولا أحد يدري هل هو الذي رفض المجتمع أم المجتمع الذي رفضه ؟..انشغل قلقاس طوال ثلاثون عامًا بالتجارب العلمية والاختراعات ، وعلى الرغم أنه كان دائم الفشل دائمًا ويجنى سخرية كل من حوله ببراعة إلا أنه أصر على طريقه ، ولم يتوانَ في محاولاته التي استمرت طوال عمره.

لم ينسَ آدم تلك المرة التى تسبب فيها عمه في حرق هذا المنزل الصغير في إحدى تجاربه العلمية ، لم ينسَ نظرات جيرانه له وسبابهم له بعد أن أبلغوا الشرطة ، لم ينسَ عمه المبتسم حتى ، وهو وسط المجرمين والنشالين والمتطرفين ، ابتسم آدم وهو يتذكر هذه الابتسامة المستفزة لعمه ، تلك الابتسامة التي لازمته دائمًا ابتسامته التي نجحت دومًا في استفزاز والده ، وقف حينها والده أمام باب القسم ، وقد احمر وجهه من الغيظ وقف يصرخ بكلماته ونصائحه دون جدوى ، وما كان من إبراهيم قلقاس إلا الرد ببرود شديد ينم على عدم الاهتمام.

- محدش له دعوة بيا اعتبرونى مت يا أخى وريحوا دماغكوا منى.

وانصرف عمه تاركًا لهما ، وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي التقى فيها الأخان حتى في جنازة والده لم يحضر إبراهيم قلقاس ، انفجر محمد قلقاس في وجه آدم: - إياك أسمع أنك بتكلمه تاني ، أنت فاهم .لو كلمته هضربك.

لم يفهم آدم سبب قسوة أبيه ، لكنه استوعب بعد ذلك أنها كانت طريقته في التعبير عن خوفه عليه فهو الابن الوحيد له ،وخاصة أن والدته رحمها الله توفت وهو في السادسة من عمره ، وأصبح محمد قلقاس الأب والأم لآدم وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف آدم عن إعجابه بعمه ، والتواصل معه من فترة لأخرى.

تخرج آدم من كلية الطيران المدنى منذ أكثر من سبع سنوات وعمل طيارًا بشركه مصر للطيران ،ولعل أكبر هديه قدمها له والده رحمه الله عليه هى شبكة المعارف الضخمة التي ساعدته بالطبع على التوظف وبسهولة ، حافظ آدم على علاقات والده ومعارفه ؛ حتى بعد وفاته في السنة الأخيرة له في الكلية بالإضافة إلى مبلغ مالي ضخم كتبه باسمه قبل وفاته.

ابتسم آدم أمام المرآة ،وكأنها ابتسامة انتصار بالنيابة عن عمه الذي توصل أخيرًا إلى أهم اختراع للبشرية ، بعد كل هذه السنين المليئة بالتعب والسخرية توصل إلى اختراع سيقلب الدنيا رأسًا على عقب.

نظر آدم في ساعته فرحًا: - حلاوتك يا عمى.

خرج آدم ، واستقل سيارته ، دخل إلى ساحة قاعة المؤتمرات محاولًا شق طريقه بصعوبة ، والابتسامة تملأ وجهه ، فهو لم يعتاد على هذا العدد الكبير من الناس ؛ حتى في أكبر الحفلات التي اعتاد حضورها في هذه القاعة مع حبيبته وخطيبته رضوى ناجي ، نظر آدم في ساعته مرارًا وتكرارًا محترقًا بنار شوقه إليها ؛ فقد مر أكثر من أسبوع منذ آخر لقاء.

لم تكن رضوى ناجى ذات الخمس والعشرون عامًا مجرد خطيبة لآدم ، بل كانت معشوقته الوحيدة بالحياة وهذا شيء تدركه حين تراهما للوهلة الأولى.رضوى كانت النافذة الصغيرة التي يرى من خلالها الدنيا. لم يكن هذا فقط لجمالها الآخاذ وعينيها الواسعتين ذات اللون الأزرق وشعرها المائل للأصفر ،وقوامها الممشوق بل لسحرها وحلاوة روحها .أصبحت كل شيء في حياة آدم .عوضته عن فقدان الأم والأب. تعلق بها كما يتعلق الطفل في حضن أمه. شوقه يزداد إليها يومًا بعد يوم ولم يعد في استطاعته الاستغناء عنها .

ابتسم آدم حين تذكر ذلك الموظف المبتسم دائمًا حينما كانوا يحجزون القاعة الخاصة بحفل زواجهما ، تذكر تشابك يده بيد رضوى ، وكأنه يلقي بنفسه في أحضانها الداخلية أحضان روحها ، ابتسم الموظف في تكلف:

- وحضرتك هتحبى سينتر بيس ؟

أجابته رضوى بتلقائية:

- اه طبعًا على كل الترابيزات.

وبنفس الابتسامة:

- طيب وال غطيان ؟

- ستان.

- تمام يا فندم. استئذنك في الكوشة ؟

احتارت رضوى وسألت آدم:

- ايه رأيك يا آدم ؟

لم يكن آدم متابع لحوارهما من الأصل كان هائمًا فيها شاردًا في جمالها وسحرها ،وكأنه غائب عن الوعى.

سألته رضوى مرة أخرى:

- آدم..آدم..ايه رأيك ؟

- هاه..اعملى اللى انتى عاوزاه يا دودو أنا موافق على أى حاجة.

قالها ناظرًا في عينيها بكل شوق.

ابتسمت رضوى وسألت في اهتمام:

- طب مفيش كتالوج لو سمحت.

- تحت أمرك يا فندم لحظة واحدة.

انصرف الموظف بابتسامته تلك ، وكأنه ألصقها على وجهه وتركهما بمفردهما وسط هذه القاعة الواسعة الفخمة ، التفتت رضوى إلى آدم متوترة:

- ناسية ايه يا رضوى ....ناسية ايه يا رضوى ؟

آه ناسية كروت الفرح.

نظر لها آدم مبتسمًا :

- والله مجنونة ، وبحبك. انتى ناسية اننا وزعناه من أسبوع.

ابتسمت رضوى متذكرة:

- آه ..اعمل ايه يا حبيبى مانت سايبنى لايصة ومش باقى غير أسبوعين.

أجابها آدم ، وهو يقترب منها:

- مانتى عارفة ظروف شغلي.

اقتربت هي أكثر منه:

- عارفة.

نظر إلى شفتيها اللتان يعشقهما:

- ايه ؟

obeikandi.com

ابتسمت هى واقتربت أكثر:

- ايه ؟

ابتسم وهو يوشك أن يقبلها ؛ليدخل عليهما الموظف بابتسامته المعهودة حاملًا الكتالوج.

- ودى بقه أحدث موديلات للكوشة يا فندم.

ابتسم آدم ،وهو ينظر إلى عقرب الثواني بساعته.

- يبه هو أم العقرب ده مش بيتحرك ليه ؟

قالها في أحد أركان الساحة منتظرًا لحبيبته مترقبًا ظهورها في أى لحظة وسط هذا الزحام الشديد المحيط به ، نظر في ساعته ، وهو يحصي عدد الساعات والدقائق ، بل والأيام المتبقية على زواجه من حبيبته ، لم يتبقَ سوى خمسة أيام..خمسة أيام على توديع حياة العزوبية ، خمسة أيام ويبدأ أحلى أيام حياته..خمسة أيام على الجنة.

مل آدم من الانتظار ، واتجه إلى مدخل القاعة لعله يجدها في الداخل .. أخرج موبايله وحاول الاتصال بها ، لكن يبدو أن الشبكة لا تعمل بقوة هذه الأيام داخل الأماكن المغلقة.

حاول آدم اختراق هذه الكتلة الكثيفة من الزحام المتجمعين حول هذه اللافتات الضخمة التي تملأ أركان الساحة (مرحبًا بالعالم الكبير إبراهيم قلقاس)

- معلش....بعد إذنك.....بعد إذنك....لو سمحتى ....أعدى بس.

وصل آدم إلى باب القاعة ليجد نفسه أمام صورة كبيرة وضخمة لعمه إبراهيم قلقاس استوقفته هذه الصورة كثيرًا ، وقف أمامها مبتسمًا متذكرًا أعوامه الثلاثين الماضية ، ومواقفه مع عمه كشريط السينما ملأت الإبتسامة وجهه ، تفاجأ آدم بكاميرا من كاميرات التليفزيون المصري أمامه عند باب القاع ، وتفاجأ بالمذيعة لبنى الشناوى ممسكة بالميك

وتتحدث إليه وكأن الأرض انشقت وخرجت من تحتها ، لم تكن لبنى ذات الخمس والعشرون عامًا مذيعة بالقناة الأولى بالتليفزيون المصري فقط لجمالها ، أو لأنها تحمل المؤهلات التي تساعدها على التعيين في هذه الوظيفة ، بل كان ذلك بسبب توصيات عمها رجل الأعمال ذو النفوذ الواسع أكرم الشناوي الذي عيّنها بمجرد مكالمة تليفون لم تتعدَ الدقيقة الواحدة من موبايله.

وقفت لبنى بفستانها السواريه ذو اللون الأحمر المكشوف الصدر تسأل آدم بدلع غير معهود في قناة التليفزيون الرسمي.

- نتعرف بيك:

-آدم .. آدم قلقاس

كان آدم دائمًا يسخر منها ، ومن طريقتها في الكلام .

جاوبته بطريقتها المصطنعة جدا:

- واااو .. أكيد تقرب لعالمنا الكبير إبراهيم قلقاس.

جاوبها بكل فخر:

- اه يبقى عمي.

- فرصة سعيدة اوى يا أستاذ آدم.

- أنا أسعد.

- وبتشتغل ايه بقه ؟

- طيار.

- واااو .. أنا بحب الطيارين اوى .. وتحب تقول ايه في المناسبه دى ؟

نظر إليها مستغربًا واستكمل!

- الحقيقه كلنا لازم نفخر أن في وسطنا عالم كبير زى إبراهيم قلقاس ، وحقيقي مهما

حصل فمصر دايما ولادة .. ولادة دايما .

- طب يا أستاذ آدم .. بما أنك ابن أخ عالمنا الكبير يا ريت تقولنا يعنى يومه بيبقى عامل ازاى .. بيصحى امتى..بيأكل ايه.. ويا ترى بيفطر زبادى وعسل ومربى وتوست وكده ، ولا بيفطر فول وبصل من عربية فول وسط اللمة في الصبحية والشموسة طالة طالة وبتنده علينا.

ضحكت ضحكتها البلهاء كتم معها آدم ضحكته.

- لا الحقيقه عمي مبيفطرش خالص. بيتغدى على طول.

- بنشكرك أوى يا أستاذ آدم يا جميل.

حياها آدم ، ودخل القاعة مبتسمًا ، لم يكن الحال داخل القاعة كخارجها ، سيطر النظام على القاعة الضخمة من الداخل على الرغم من ازدحامها ، انتشر البودي جارد في كل مكان بالقاعة ؛ ليؤمنونها تمهيدًا لقدوم السيد الرئيس زكي العوامري رئيس الجمهورية ؛ فلن تمر بضع دقائق إلا وسيكون بينهم.

ابتسم آدم هامسًا:

- والله وباضتلك في القفص يا عمي.

امتلأت القاعة باللافتات (نرحب بالعالم الكبير إبراهيم قلقاس)، (مشروع قلقاس تحت رعاية السيد الرئيس زكي العوامري)، (كلنا فداك يا ريس)، بينما امتلأت منصة القاعة بلافتة ضخمة في خلفيتها (مرحبًا بالعالم الكبير إبراهيم قلقاس)، وأمامها منصة كبيرة يبدو أنها ستكون من حظ عمه هذه الليلة.

انطلق آدم ببصره باحثًا عن حبيبته رضوى بين الموجودين .. الجميع يتحدث والضوضاء تعم أرجاء القاعة .. وقع بصره على عزام عزام صديق عمه ؛ فاتجه إليه .. قدم له التحية الحارة.

obeikandl.com

عزام عزام في نفس عمر قلقاس تقريبًا. عرفه آدم منذ أن تفتح إدراكه فقد كان عزام الصديق الأوحد لقلقاس خاصة بعد وفاة ابنته وزوجته في نفس السنة بهذا المرض اللعين السرطان ، وانتقل بعدها للعيش مع قلقاس في مسكنه الصغير ، ولم يتفارقا أبدًا منذ ذلك اليوم ولعل لعزام فضلًا كبيرًا في اختراع عمه الذي سيُكشف عنه اليوم.

تخرج عزام من كلية العلوم والتكنولوجيا أيضًا مثل قلقاس ، واهتم بالعلم والتجارب العلمية الجديدة ، ولا نخطىء القول حين نقول إن عزام عزام هو الشريك الأوحد بل المحرك الأساسي لاختراعات قلقاس.

كان عزام غريب الأطوار بعض الشيء ، كثير الشرود ولعل هذا يرجع للمأساة التي عاشها بحياته ، فمن يتحمل فقدان الزوجة والابنة الوحيدة معًا ، نعم إنها كارثة بكل المعاني وقد تودي بالشخص إلى الجنون.

قبّله آدم بكل حفاوة ،لكنه لاحظ اضطراب عزام الناظر بقلق يمينًا ويسارًا.

- ايه اللى أخرك كده يا آدم ؟

- لا أبدًا أنا جاى في ميعادي ، وبعدين المؤتمر لسه مبدأش.

كان عزام مضطربًا للغاية . كان من السهل على آدم ان يلحظ ذلك ويلحظ ذلك الجهاز الممسك به عزام في يده ،والناظر له من الحين للآخر بقلق واضح (جهاز دائري صغير له مؤشر يشبه ميزان المطبخ الصغير)

- مالك يا أستاذ عزام ؟ مش على بعضك ليه ؟

اقترب عزام من آدم متوترًا ،وكأنه يخبره بسر حربي متلمسًا نظارته الكبيرة هامسًا:

- الأكسجين.

نظر له آدم وبتلقائية بصوت عالٍ:

- أكسجين ايه ؟

زاد توتر عزام ، وبسرعة خاطفة وضع يده على فم آدم هامسًا:

- وطي صوتك.

كتم آدم ضحكته . كان يعلم أن عزام شخص غريب الأطوار ، وتذكر جملة عمه قلقاس دائمًا: - خده على قد عقله ، ومتوجعش دماغك يا آدم.

وهذا لا يعنى أبدًا إنكار قلقاس لعبقرية عزام ، وعدم الإيمان بذكائه.

كتم ضحكته هامسًا لنفسه:

- وقعنا.

نظر عزام إلى الجهاز الممسك به ، وبمنتهى القلق همس له:

- الأكسجين في الهواء نسبته ٩,٠٢ في الميه يعنى تقريبًا ثلث حجم الهواء.

رفع آدم حاجبه غير مدرك ما يرنو إليه عزام ، لكنه يعرف أنه سيفاجئه الآن بسر خطير من وجهة نظره قد يستحق الاهتمام أو يكون مدعاة لسخريته.

أخذ عزام نفس عميق ،وأخرجه بقوة:

- احنا بناخد الأكسجين ،وبنطلع ثاني أكسيد الكربون .

أخذ نفس عميق مرة أخرى ،وأخرجه بقوة ثم نظر إلى جهازه بقلق شديد في حين انتظر آدم السر الخطير.

- النسبة وصلت ل ١٥ في المية في أقل من ساعة ، وده معناه إننا كلنا هنتخنق في أقل من أربع ساعات.

أدرك آدم أنه سيسخر حتمًا من هذا السر الخطير هذه المرة مردداً داخله هامسًا:

- طلعت اوت منك دى يا أبو العزازيم .. أكسجين ايه وثانى أكسيد الكربون ايه فكك منى بقه

obeikandl.com

وضع آدم يده على كتفيه محاولًا تهدئته .

- لا خير إن شاء الله.. متقلقش يا أستاذ عزام.

امتدت يد ا عزام إلى رقبته يتحسسها ، وكأنه يختنق.

- أنا قلقان أوى يا آدم.. أوى.

نظر آدم إلى ساعته اللعينة ، واستكمل البحث عن رضوى بعينيه في كل أنحاء القاعة.

محاولًا التخلص من عزام .. شاور له على أحد الأركان بجدية مصطنعة.

- بص يا ريس الحتة اللى هناك دى.

نظر إليها عزام مستفسرًا:

- مالها ؟

- النفس فيها هناك تمام التمام مليان أكسجين اكسترا فرز أول ....أنا لسه جاى من هناك.

ابتسم عزام ابتسامة أمل ،واتجه إليها.

- متشكر اوى يا آدم....متشكر.

ضحك آدم مستهزئًا:

- العلم لحس مخه .. بلح .. بلح.

بحث عن وجه رضوى محبوبته في وجوه كل من بالقاعة ، وكأنه يبحث عن القمر في ليلة حالكة السواد ، نظر إلى ساعته اللعينة مرات ومرات ، وكأن الزمن قد توقف ، تذكر حالته في تلك المرة التي رأى فيها رضوى لأول مره في حفل زواج صديقه عاطف.

تذكر كيف تجمد الزمن حينها عندما التقت عيناهما لأول مرة ؟ سحرته استولت على كل حواسه.عرفت طريقها إلى عقله. تربعت على عرش قلبه ، وأغلقت بابه خلفها وألقت

obeikandi.com

بمفتاحه في بئر عميق قاعه تسافر له في ٥٠ ألف عام ، أحبها .عشقها منذ النظرة الأولى . اختطفته وهربت به إلى عالمها.

ظهرت رضوى بعد طول انتظار ، دخلت من باب القاعة بابتسامتها الساحرة. ظهرت كطوق نجاة لغريق أنقذ للتو من غرق محقق. رآها آدم .تجمد الزمن على الفور كالعادة ، توقفت الضوضاء تمامًا ،وحل محلها موسيقى هادئة وأصوات لتغريد العصافير ملأت أذنيه ،وكأن كل من بالقاعة انقلبوا لتماثيل صماء.

التقت عيناهما عن بعد ، سحرته ابتسامتها كالمعتاد ، جذبه ذلك الشعاع القادم من عينيها ،وكأنه يطلب منه احتضانها ، اقترب آدم منها وسط هذا السكون الساحر ، وأمسك يديها وقبلهما ناظرًا فى عينيها الساحرتين هامسًا لها:

- وحشتينى.

ابتسمت.

- بكاش.

اقترب آدم أكثر ،وكأنه يلقي بروحه في أحضانها.

- طب والله وحشتيني أوى.

- وأنت كمان وحشتنى.

قالتها ، وكأنها احتضنته بالفعل.

اقترب آدم منها ،وكأنه التصق بها:

- كنت بدور عليكي.

ابتسمت كملاك يرفرف في السماء ،ويغطى بجناحيه كل من لوع العشق قلبه

متسائلة:

- ولقيتنى ؟

نظرت في عينيه ،واقتربت بشفتيها إلى شفتيه. أحست أنفاسه الملتهبة على شفتيها.

ارتبك آدم.

- ايه ؟

اقتربت أكثر ،وكأنها أوشكت على تقبيله.

قالتها وهي تنطقها حرف حرف.

- و.. ل .. قى .. ت.. نى ؟

أوشك آدم على تقبيلها وسط هذا السكون الساحر.

اخترق هذا السكون صوت رخيم يعلن عن قدوم الرئيس زكي العوامري ، والعالم إبراهيم قلقاس.

- أيها السادة .. السيد رئيس الجمهورية ، ومعه العالم الكبير إبراهيم قلقاس.

ابتعد آدم عن رضوى محرجًا ، لكنهما ظلا متشابكى الأيدى وسط تصفيق الجميع.

دخل عدد كبير من البودى جارد ، ثم تبعهم السيد الرئيس زكي العوامرى ذو السبعون عامًا ، ومعه إبراهيم قلقاس وسط احتفاء الجميع بهما مصفقان لهما.

لم تكن تستطيع في هذه اللحظة أن تفصل في هذا التصفيق اهى لإبراهيم قلقاس أم للرئيس ، لكن آدم كان يعرف في داخله أنه لعمه فقط ؛ فهو عريس هذه الليلة ، وقف الجميع صامتون مستمعون لموسيقى السلام الجمهورى .. شاور الرئيس لقلقاس بعدها ليصعد على المنصة وسط تصفيق الجميع ، وهنا تدرك أن حرارة التصفيق لم تقل بل زادت أكثر لقلقاس بمفرده.

صعد قلقاس إلى المنصة بخطوات واثقة ، صعد الدرجات ، وكأنها سنوات عمره الماضية ، في كل خطوة ينفض بها عن جسده هذه السخرية التي لاحقته طوال الأربعون عامًا الماضيه منذ أن كان في الجامعة ، وقف قلقاس بأقدام ثابتة ونظر إلى الجميع بثقة وفخر

عينيه تبرقان بالنصر.. الابتسامة تملأ وجهه.. بعد كل هذا الشقاء والتعب جاء اليوم الذي يصمت فيه الجميع بمن فيهم رئيس الجمهورية ليتكلم هو .. هو فقط ، تناول قلقاس رشفة من فنجان القهوة الذي يبدو أنه وضع للتو على المنصة ، أنه ساخن للغاية كما يحبه دائمًا ، ابتسم متأثرًا وتذكر عشقه للقهوة ، صديقته الوحيدة لطالما ساعدته مرارًا وتكرارًا على الوصول إلى مبتغاه ، لطالما ساعدته على السهر لأكثر من ليلة على اختراعاته وتجاربه ، همس لنفسه مع أول رشفة:

- وكمان فنجان القهوة المضبوط بتاعى .. اه يا بلد.

اقترب من الميك حائرًا من أين يبدأ ؟.. وبعد تفكير طويل عرف كيف يبدأ ؟ أمسك بالميك مبتسمًا بفخر:

- يا صاح.. لا خطر على شفتيك أن تتثلما والوجه أن يتحطما .. فاضحك .. فإن الشهب تضحك.. والدجى متلاطم ، ولذا تحب الأنجما .. قال .. البشاشة لا تسعد كائنًا يأتى إلى الدنيا ويذهب مرغمًا.

قلت: ابتسم ما دام بينك والردى خيرًا فإنك بعد لن تتبسما.

كان قلقاس عاشقًا للشعر متبحرًا فيه حافظًا له لدرجة أنك إذا رغبت في الإستماع لإحدى القصائد أى كانت اطلب منه ذلك فقط ، وتأكد أنه سيلقيها عليك ربما أحسن من شاعرها الأصلي ، اتكأ قلقاس إلى الخلف مبتسمًا ممسكًا المَيك:

- إيليا أبو ماضى.

وقف الجميع يصفقون له بينما هو ارتشف رشفة أخرى من فنجانه الساحر ، حتى جلسوا ليستمعوا له منصتين.

-٣١ مليار سنة .. نشأة الكون ، ٥,٤ مليار سنة .. ظهور كوكب الأرض ، ظهور الإنسان من حوالي ٢٠٠ ألف سنة ، ٢٠٠ ألف سنة والبنى آدم من زمن لزمن بيتطور .. أحداث كتير وتاريخ حافل أغلبنا عارفينه آثر فينا ،وهيأثر في اللى هييجوا

بعدينا .. لكن مين فينا مفكرش يرجع بالزمن لورا شويه ، قالها بمنتهى الثقة ، وكأنه امتلك عقولهم جميعًا.

- مين فينا مكانش نفسه يقعد مع أبوه وأمه اللى ماتوا من كام سنة.

قالها وهو يعرف أنه يدغدغ بذلك مشاعرهم ؛ فمن منهم لم يكتوِ بنار الفراق سواء لحبيب أو لقريب.

- مصايب كتير حصلت للبشرية دلوقتى شايفينلها حلول سهلة وبسيطة بس كانت مستحيلة ساعتها ، أمراض كتير دلوقتى بقت ليها علاج بس ساعتها كانت مميتة

صمت لحظات ، ونظر إليهم مبتسمًا لسيطرته عليهم سعيدًا بانتصاره .

- اللى عاوز أقوله .. لو قدرنا نصلح ماضينا هنعيش حاضرنا كويس ، وهنضمن المستقبل

كمان ، وقفوا جميعًا يصفقون له بحرارة شديدة بينما انشغل عزام في قياس نسبة الأكسجين بجهازه الصغير متوترًا ، اتكأ قلقاس إلى الخلف بثقة المنتصر.

- كتير حاولوا يخترقوا الزمن ، اللى ركب طيارة ومشى عكس دوران الكرة الأرضية واللي راح مثلث برمودا ومرجعش تانى ، واللي طلع للفضا واللي واللي واللي.

صمت لحظة وقال مبتسمًا:

- الكل حاول يوصل لسرعة الضوء ، حاولوا وفشلوا .. أنا بقه حاولت ونجحت.

نهض الجميع في نوبة من التصفيق الحاد لقلقاس بينما رفع هو يده ؛ ليحييهم جميعًا من على منصته ، المنصة التى عمل طوال عمره حتى يصل لها .. منصة إبراهيم قلقاس ، لم تقف هذه المنصة فقط على قاعة المؤتمرات ، بل امتدت لكل الأوساط العلمية والثقافية ؛ حيث رحب الجميع بقلقاس ولم يتركه عزام في كل جولاته العلمية وندواته فقد كان مثل ظله وأحيانًا كثيرة كان يجلس بجواره على المنصة جنبًا إلى جنب صامتًا ،ولم يكن ذلك يثير في نفس عزام الحقد بل بالعكس كان يشعره بالسعادة ؛ فكان بينهما نوع غريب من

الصداقة لا تدركه إلا حين تسمع عزام ،وهو يحكى لك عن قلقاس.

انقلبت الدنيا وأصبح الجميع يتحدث عن اختراع قلقاس في كل مكان ، واعتبرها البعض فرصة لرؤية الأموات ممن فارقوا الحياة ؛ فتهافت الكثيرون لشراء تذاكر السفر عبر الزمن من هذا الخط الزمني الجديد ، وكانت الدولة قد أجلت كل الرحلات بعد رحلة الافتتاح التي سيحضرها الرئيس زكي العوامري.

وبعد اجتماعات عديدة استمرت لمدة يومين قررت الدولة أول رحلة من مطار القاهرة الدولي بعد ثلاثة أيام ، وقفت لبنى الشناوي وسط هذا الازدحام الشديد حول شباك التذاكر متحدثة أمام الكاميرا بنفس طريقتها المصطنعة:

- إقبال شديد أعزائى المشاهدين على رحلات قلقاس للطيران الزمني.

حاول العديد من الناس التحدث أمام الكاميرا في فوضى كبيرة من الفرحة.

- انا هروح أقعد مع أبويا الله يرحمه.

- انا هرجع أعيش في الخمسينيات أيام الزمن الجميل.

- أنا بقه هروح أشوف حماتى الله يرحمها عشان تشوفلى حل مع المعدول جوزى.

حاولت لبنى جاهدة التماسك وسط هذا الزحام الشديد ، والهتافات المتصاعدة بحياة قلقاس.

- قلقاس.....قلقاس....قلقاس.....قلقاس.....قلقاس.

حاولت لبنى بصوت عالٍ لا يخلو من الدلع:

- الجدير بالذكر أن سيادة الرئيس زكي العوامري والعالم الكبير إبراهيم قلقاس سيفتتحان سويًا أولى رحلات هذا الخط غدًا مساءً .. وقد وقع الاختيار على حفل عيد الثورة عام ٤٥٩١ .. ويحي الحفل السيدة الراحلة أم كلثوم ،وقد اعتبرها البعض فرصة للقاء الرئيسين الراحلين جمال عبد الناصر ومحمد أنور السادات

بسيادة الرئيس زكي العوامري لبحث تطور الوضع الراهن.. وهل يمكن الاستفادة من التواصل بين الزمنين ؟

سنكون معكم خطوة بخطوة ....في هذا الحدث الكبير...لبنى الشناوي ...القناه الأولى القاهرة.

استمرت الهتافات تتصاعد من حين لآخر.

-قلقاس....قلقاس....قلقاس.....قلقاس.

بينما استعد العالم أجمع إلى أول رحلة ستنطلق عبر الزمن عائدة إلى الخمسينيات من القرن الماضي.

حقا إنها ستكون رحلة مثيرة في كل الأحوال .. رحلة إبراهيم قلقاس.

obeikandl.com

obeikandl.com

فخري أبو الروس

وقف طلبة في مكانه المعتاد ممسكًا الرق يغني ، ويطبل لقرده الصغير نفس اللحن ونفس الأغنية التي اعتاد سكان هذه المنطقة سماعها منه ، لم تكن هذه الأغنية من تأليفه ، ولا يعرف أحد من أين جاءت هذه الأغنية ؟ومن مطربها الأصلي ؟ حتى هو منذ نزحه من قريته الصغيرة بالفيوم باحثًا عن لقمة العيش .. حفظها ظهرًا عن قلب.

تراقص القرد فرحًا بتجمع سكان المنطقة حوله ؛ فهذا يعنى أنه سيتناول وجبة غداء دسمة اليوم من الموز المحبب لديه ، ويمكن أيضًا أن يرضى عنه طلبة أكثر إذا زاد في رقصه ؛ فيعطيه بعض من حبوب السوداني ، تجمع المارة من الأطفال والسيدات وبعض الرجال ووقفوا مصفقين للقرد الراقص على أغنية طلبة التي يكررها مرارًا وتكرارًا بحماس.

- الليل الليل .. ال يا ميمون ، وكمان الليل ..ال ياميمون.

تراقص القرد كثيرًا على الرغم أنه ليس ميمون. رقص معتبرًا هذا عمله اليومي يجنى به قوت يومه ؛ فمنذ أن اشتراه طلبة من محل بيع الحيوانات منذ أكثر من عامين ،وهو يرقص على هذه الأغنية يوميًا دون أن يسأل هل هو ميمون أم لا ؟ فهو لا يعرف حتى اسمه الحقيقي ؟!

obeikandl.com

اعتاد طلبة ذو الخمسون عامًا على هذا العمل كل يوم يخرج بالقرد ،ويغني له ، اعتاد على ذلك ولم يعرف عمل غيره. أدمن تلك النقود التي يجمعها من سكان المنطقة يوميًا بعد عرضه الراقص ؛ لتكفيه قوت يومه هو والقرد ، وقف طلبة يغني في ساحة لعمارة تحت الإنشاء خاوية تمامًا من العمال ، ويبدو أنها مهجورة منذ فترة ولا يدري أحد أين أصحابها منذ ثورة ٢٥ يناير ؟ يقال إنها كانت لرجل أعمال من الفاسدين الذين هربوا خارج البلاد بعد الثورة .

اعتاد طلبة بتقديم عرضه الراقص مع القرد في هذا المكان دائمًا ، وقفت سيدتان منقبتان تصفقان على رقص القرد وسط الجميع ، لكنك تلاحظ عند النظر إليهن بالريبة ، خاصة وهن ينظرن لبعضهما البعض نظرات مريبة ، ثم تحركتا بعيدًا عن تجمع الناس ، لم يلاحظ أحد وجودهما أو تحركهما ؛فالغناء والرقص مستمران بينما اتجهتا إلى داخل الموقع المهجور عند غرفة صغيرة من الخشب في أحد الأركان بالقرب من التجمع ، نظرتا لبعضهما البعض ، ثم دخلتا الغرفة وأغلقتا الباب ، لم يتوانَ طلبة عن الطبل للحظة واحدة ، والغناء بنفس الحماس طوال الوقت.

- الليل الليل الليل .. ال يامِيمون.

دخلت السيدتان للغرفة الخشبية ، وجلستا على مكتب صغير وسط الغرفة الصغيرة المليئة بالأتربة في كل أركانها تكاد تشتم رائحة الغبار المتطاير فيها ، وتراه واضحًا عند مصدر الإضاءة الوحيد المتدلي من السقف (لمبة صغيرة) تشع ضوئها الأصفر.

جلستا وسط عدد من السيدات المنقبات جميعهن يرتدين نفس الرداء الأسمر والنقاب الأسود ، تقفز إليك الريبة ،والقلق عند رؤيتهن ، نظرن جميعهن إلى بعضهن البعض بينما يأتي صوت القرداتي من الخارج .

- الليل الليل الليل .. ال يامِيمون.

رفعن النقاب واحدة تلو الأخرى ؛ فتكتشف حينها أنهن جميعًا رجال وأعمارهم تتراوح بين الأربعين والخمسين عامًا.. لكن لماذا هذا التخفي؟ .. لماذا يضطر الرجال لارتداء ملابس نساء ؟ لماذا يتخلى الرجل عن رجولته؟.. وبقى السؤال الأهم لماذا تشعر بالريبة عند النظر إلى وجه أى منهم؟ أخرج فخري أبو الروس الجالس على رأس المكتب ملفًا من العباءة التي يرتديها فخري أبو الروس ذو الخمسون عامًا ذو ملامح جادة تعرف أنه المسيطر عليهم بمجرد النظر إليهم ، وهم ينصتون له. تعرف أنه كبيرهم من الوهلة الأولى ، وضع فخري الملف على المكتب الصغير وسط هالة من التراب الكثيف المثير لسعالهم جميعًا.

نظر لهم قائلًا : السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ، رددوا ، والسعال عالقًا في حلقهم :

- وعليكم السلام يا كبير.

رمقهم فخري بنظراته القوية متفرسًا في وجوههم .

- معذرة على هذه الطريقة ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات.

تهافتوا في الرد:

- نعم يا كبير.

- بعد كل ما فعل فينا ،وتصادرت جميع أموالنا.

- لا نستطيع حتى العيش وسط الناس الآن.

- تعبنا يا كبير.

- تعبنا يا كبير.

لم يكن فخري أبو الروس رجلًا عاديًا .. عاش زمنًا طويلًا زعيمًا ، ومناضلًا من أجل نشر الدين الإسلامي أو كما كان يدعي دائمًا أمام مؤيديه ، لم يكن فخري واحدًا ممن يعرفهم الناس ؛ فلم يطفو على السطح ،ولم يتولَ أى منصب في الدولة أثناء سنة وصولهم

للحكم ، اسمه الحقيقي فخري المنير من مواليد الشرقيه تخرج من كلية العلوم ، واندرج في العمل السري للجماعة منذ دخوله الجامعة ، وأحرز تقدم كبير بين أقرانه حتى أصبح أحد أهم القيادات الخفية خاصة عن أمن الدوله.

أطلق عليه أقرانه فخري أبو الروس كناية عن براعته في التخطيط ، وكأن له العديد من الرءوس في رأس واحد ، كان من أهم العقول المدبرة للجماعة ، وكان معروفًا بينهم بالمحنك. القائد المحنك ، وعلى الرغم من ذلك لم يطفو على السطح ولعل هذا كان تدبيرًا ربانيًا له ، وإلا كان مكانه السجن مثله كمثل كل من طفوا على السطح من الجماعة.

لم يتأثر فخري بما حدث للجماعة في الآونة الأخيرة بالعكس أصبح أكثر حرصًا ، وشراسة متذكرًا كل الأحداث المتوالية منذ نشأة الجماعة على يد حسن البنا عام ١٩٢٨ حتى هذه اللحظة ، تذكر الخمس والثمانون عامًا أمامه كشريط السينما ، رمقهم بنظراته القوية ؛ فصمتوا جميعًا مترقبين ، ثم تحدث بجدية شديدة.

- الصبر يا إخوانى الصبر.

فتح الملف وأخرج منه ورقة وسط فضولهم جميعًا ؛ فكل منهم يتساءل داخله عن مصيرهم الأيام القادمة.

- لقد اجتمعت مع جميع الإخوة في كل محافظة ، واتفقنا على الآتى بإذن الله.

قرأ من الورقة وكأنه بيان.

- في ٤ ديسمبر ١٩٥٤ تم الحكم على مجموعة كبيرة من أعضاء ومؤسسين الجماعة أحكام باطلة بالإعدام والمؤبد ، وغيرها من الأحكام الأخرى المستبدة .

صمت فخري للحظات رامقًا لهم منتظرًا رد فعلهم ، أدركوا أن عليهم أن يعقبوا على كلامه بعد لحظة ؛ فانطلقوا جميعًا يتسارعون في الرد:

- رحمهم الله جميعًا.

- شهداء بإذن الله.

- الله أكبر.

اتكأ فخري إلى الخلف ، ونظر لهم بحدة قائلًا:

- المطلوب.. الوصول للأعضاء دول ، وتنبيههم لمصيرهم اللى هيحصلهم بعد ٦ شهور ومحاولة تهريبهم ،ويرجعوا معانا على نفس الطيارة لزماننا الحالى ، انتشرت السعادة على وجوههم.

- بارك الله فيك.

- ونعم التفكير.

- الله أكبر.

استكمل فخري باقي خطته الشيطانية.

- قُتل كل من محمد أنور السادات ،وجمال عبد الناصر وبعض من قادة انقلاب ٢٥٩١ وقطع دابرهم من البداية ، قالها فخري والغل يملأ عينيه..الغل الممتزج بالسعادة .. تستطيع أن تلحظ ذلك بوضوح حين ينطق اسمهما كالحية التي تبث سمومها في ضحاياها بسعادة بالغة ، نظر إليه الجميع ،والاستغراب على وجوههم.

خرج أحدهم من صمته مستفسرًا:

- ما هم ماتوا قبل كده يا ريس فخري.

انتفض فخري ، وكأن لدغه عقرب .

- ماتوا بعد ما ورونا الويل. أنا بقول نقتلهم في ٤٥ يعنى قبل ما حد فيهم يحكم ، ويفتري علينا ويقرفنا.

استبشر الجميع ضاحكين بعد أن فهموا مراده.

- الله أكبر.

- ونعم التفكير.

- بارك الله فيك.

سأله نفس الرجل بنفس الغباء السابق الذي يطل من عينيه:

- طب يا مولانا هنوصل للإخوة ازاى ؟

وزع عليهم فخري مجموعة من الأوراق كانت بالملف ، وكذلك جوازات سفر.

- ده كشف بالاسماء والصور والعناوين احفظوها وبعدين قطعوها ،ودى باسبورتات جديدة باسماء جديدة ضبطهالنا حبايبنا في الحكومة ، نظروا إلى جوازات السفر والابتسامة البلهاء على وجوههم.

- على بركة الله.

- ونعم التفكير.

- الله أكبر.

- بارك الله فيك.

رفع فخري يديه إلى السماء .. يديه الملطخة بالدماء..رفعها كالذئب الذي فرغ لتوه من التهام ضحيته داعيًا بقلب ميت.

- نقرى الفاتحة.

رفعوا أيديهم مثله ، وقرأوا الفاتحة.

بينما صوت غناء ،وطبل القرداتي طلبة ما زال قريبًا بنفس الحماس.

- الليل الليل .. ال ياميمون.

obeikandl.com

الرحلة

حبس الجميع أنفاسه في انتظار أول رحلة عبر الزمن التابعة لشركة قلقاس للطيران تحت رعاية الدولة ، ترقب العالم كله هذه الرحلة على الرغم من ثقة الدولة ، والمصريون في قلقاس إلا أن العالم الغربي كان ينظر للمشروع ككل نظرة المترقب المنتظر لفشله ، وهذا أمر طبيعي فدائمًا العلاقه بين الطرفين تشوبها الشك والريبة ، والمعروف عن العرب لديهم أنهم (فنجرية بوق) ، سمعها آدم مرارًا وتكرارًا ممن كان يسافر بهم دائمًا.

- أنتم العرب كلام كلام فعل مفيش.

ولعل هذه الجملة تلخص نظرة الغرب للعرب دائمًا .

والسؤال هنا .. هل سينجح قلقاس في تغيير نظرتهم لنا ؟

بات قلقاس ليلته الأخيرة فرحًا بشدة ؛ ففي مساء الغد سيكون في زمان آخر مثبتًا أن عمره لم يذهب هباءً ، كم تمنى أن يقف الآن أمام أخيه محمد قلقاس رحمه الله عليه ؛ ليصرخ فيه بقوة مخرجًا كبت العقود الماضية ؟ كم تمنى أن يصفع جيرانه في مسكنه الصغير واحدًا تلو الآخر.

كان قلقاس أول من وصل للطائرة المجهزة للرحلة المنتظرة ، و معه عزام ، جلس في كابينة الطائرة مع آدم ابن اخيه الذي اختاره قلقاس ، ليقلع بالطائرة في رحلته المنتظرة وكان بجواره فهمى الشماشرجي زميل آدم وصديقه ، استغرق قلقاس وقت طويل ليشرح لهما الخطوات المتبعة في هذه الرحلة ، وأثناء ذلك توالى الرواد على الطائرة حتى امتلأت بأكملها ، وعلى رأسهم السيد زكي العوامري رئيس الجمهورية البالغ من العمر السبعون عامًا ، جلس زكي العوامري في مقدمة الطائرة بينما انتشر البودى جارد الخاص به في كل الطائرة يؤمنون وجوده خاصة أن الرحله فتحت للجمهور العادي.

وقفت لبنى الشناوي أمام الكاميرا بدلعها المعتاد وسط الطائرة قبل إقلاعها ، وبالطبع تدخل عمها أكرم بيه الشناوي لتكون هى مبعوثة التليفزيون المصري لهذه الرحلة ؛ لتصبح أول مذيعة تنتقل عبر الزمن ، أمسك لها فؤاد الكاميرا بينما تمادت هى بدلعها ، وبطريقتها المصطنعة.

- وكما وعدناكم أعزائى المشاهدين أن نكون معكم خطوة بخطوة .. نحن الآن داخل الطائرة المجهزة لأول رحلة عبر الزمن .. وكما نرى أعزائى المشاهدين .

شاورت لبنى إلى فؤاد ليحرك الكاميرا ؛ ليصور ركاب الطائرة.

- يا فؤاد اصحى معايا.

استعرض فؤاد بكاميرته جميع الركاب واحدًا تلو الآخر ، العجيب أن الطائرة امتلأت بأطياف مختلفة من الناس ؛ فهناك رجل عجوز وزوجته ابتسما وشاورا للكاميرا معبرين عن فرحتهم بالرحلة ؛ فنطقا في آن واحد:

- بنحب أم كلثوم أوى.

وهناك رجل الأعمال منير بيه الشيمي صاحب أكبر مصنع للأدوات الكهربائية ، وجوده على هذه الرحلة لا يمر مرور الكرام ، فالمعروف عنه أنه لا يظهر في أى مكان أو مناسبة إلا وكان هناك مصلحة كبيرة له من وراء ذلك.

نظر منير إلى الكاميرا مبتسمًا بتعالٍ رجال الأعمال ، ابتسم مجموعة من الشباب أعمارهم تتراوح بين الثمانية عشر ، والخامسة والعشرون عامًا إلى الكاميرا ، مظهرهم يوحى بأنهم ممن يطلق عليهم (شباب سيس) ، ولا تدرى لم هم على هذه الرحلة ؟

هل لحبهم في أم كلثوم أم لرغبتهم في رؤية الرئيسين عبد الناصر والسادات ؟ أم لمجرد الرغبة في تجربة كل ما هو جديد ، وغالبًا الاحتمال الأخير هو ما دفعهم لخوض هذه الرحلة الشيقة ، جلس وسطهم حميد ممسكًا بيد صديقه سعيد بشكل مقزز ، وعندما رأوا الكاميرا تركوا أيدى بعضهما البعض ، وهتفا وهتف معهما جميع أصدقائهما.

EGYPT .....EGYPT.....EGYPT.....EGYPT

لا تستطيع أن تخفى إحساسك بعدم الراحة عند النظر إليهم متحسرًا على حال الشباب في هذه الأيام أو لنكن منصفين ، ونقول بعضهم ، جلس عزام في أحد الكراسي منشغلًا في قراءة كتاب بيديه بعنوان المسيح الدجال للدكتور مصطفى محمود باندماج شديد.

كان عزام شغوف بالقراءة منذ صغره ، فلم يترك كتابًا أو تجربة علمية إلا وقرأ عنها حتى أطلق عليه الموسوعة لكثرة ما يحويه .

ترى فخري أبو الروس ،ومجموعته في الكراسى الخلفية يبتسمون للكاميرا بخبث ، نظر بعدها فخري من شباك الطائرة شاردًا ،وابتسم متخيلًا ما ستؤول إليه الأحداث بعد نجاح مخططه الخفي .. تساءل كيف سيتغير التاريخ ؟.. ماذا سيحدث حين يمحى بيده ستين عامًا كاملة من تاريخ مصر ؟.. أسئلة متعددة تدور في رأسه ستكشف عنها الساعات القادمة.

عاد فؤاد بالكاميرا على وجه لبنى.

- وكما نرى أعزائى المشاهدين التلاحم الشعبي وراء هذا المشروع القومي فئات مختلفة

من الشعب مع رئيس الجمهورية ، على نفس الطائرة في رسالة واضحة للعالم عن تلاحم بلدنا الحبيبة.

اقتربت لبنى من رجل جالس عن قرب.

- نتعرف بيك:

- عيسى.. عيسى المنصور... «جاوبها بابتسامة عريضة».

- أستاذ عيسى. تحب تقول ايه النهارده ؟

- أحب أقول ربنا يتقبل منا سائر أعمالنا ، ويكتب المشروع ده في صالح أعمالنا بإذن الله.

لا تندهش حين تعرف أن عيسى المنصور هو أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر ،وقضى سنوات عمره الخمسون بين الكتب والمراجع الدينية ؛ حتى أصبح موسوعة دينية لكن يتبادر هنا إلى ذهنك سؤال هام ، ما الذى يجعل رجل مثل عيسى المنصور أن يتواجد في مثل هذه الرحلة ؟

فقد عيسى والدته وهو في الخامسة عشر من عمره ، وعانى طوال سنوات حياته فقدان حنانها ، لكنه لم ينساها يومًا من الأيام لم تكن سنية المدبولى أم تقليدية ، بل كان لها دورًا كبيرًا في تشكيل شخصية عيسى. على الرغم من رحيلها مبكرًا عن الحياة.

علمته كيف يقبل على الحياة ؟ وفي نفس الوقت يعمل بكل جهده لأخرته .. علمته يستمع إلى أغانى أم كلثوم وعبد الحليم ، وعندما يؤذن المؤذن للصلاة يسارع بأن يكون هو الإمام .. علمته أن الإيمان الصادق ينبع من القلب .....لم ينساها عيسى أبدًا ، كانت سنية المدبولي معتادة على حضور حفلات السيدة أم كلثوم ، وليس هذا فقط بل الجلوس في الصفوف الأولى.

قصت عليه أكثر من مرة كيف التقت بوالده أحمد المنصور في أحد هذه الحفلات ؟ وكيف أعجبا ببعضهما البعض منذ الوهلة الأولى ، ولكن حيائها منعها من الحديث معه ؟ وكيف استمر لقائهما عن بعد لمدة أربع سنوات في كل حفلات أم كلثوم ؛ حتى تقدم لخطبتها وتزوجا عام ١٩٦٠ ، تذكر عيسى صديقه شوقي حين سأله.

- جرى ايه يا شيخ عيسى .. رايح تعمل ايه في رحله زى دى ؟

فجاوبه مبتسمًا:

- أمى وحشتني اوى يا شوقي ..عاوز أشوفها.

- بس الحفلة دى سنة ٤٥ يعنى قبل الست والدتك ما تولدك ب ٧ سنين .. هتعرفها.

فأجابه بتلقائية:

- وماله يا أخى .. الدم بيحن برضه.

ابتسم عيسى متذكرًا أمه ، وهى تدندن بأغانى الست أم كلثوم.

وخاصة أغنية للصبر حدود التي حفظها منها ظهرًا عن قلب.. لمعت عيناه بالدموع ، وهو يدندنها ، وقفت أمامه ، فهدة إحدى مضيفات الطائرة ، وأمامها عربة مليئة بالمشروبات مبتسمة.

- تشرب ايه يا فندم ؟

- حلبة حصا.

قالها بتلقائية شديدة.

ابتسمت فهدة ، وهى تصب له من براد صغير ماء ساخنن ووضعت له الحلبة والسكر في فنجان وأعطته له.

- رحلة سعيدة يا فندم.

- جزاكى الله خيرًا.

كانت فهدة ذات السبع والعشرون عامًا جميلة جدًا.. ذات جسد ممشوق يُثير من يراها.. عيناها سوداويتين ، وشعرها أسود طويل شديد السواد ، كانت مطمع لكل العاملين بالمطار ، وعلى رأسهم فهمي الشماشرجي الذي أحبها بشدة بينما تعلقت هي بآدم ، وحاولت مرارًا وتكرارًا بإيقاعه في حبها وعلى الرغم لاستغلالها لكل أسلحتها الفتاكة كان آدم في عالم آخر مع معشوقته رضوى.

ابتسمت لبنى بدلع أمام الكاميرا كالمعتاد.

- نعم أعزائي المشاهدين أنها مصرنا الحبيبة ، مصر تصدر للعالم أجمع روعه التلاحم بين الجميع ، مصر تلد وتلد وتلد ، حتى أصبحت مصر الولادة .. ابقوا معنا.

أغلق فؤاد الكاميرا ضاحكًا:

- وحشة اوى مصر تلد دى.

- ايش فهمك انت ؟

- يبنتى أنا عاوز مصلحتك.. هيتريقوا عليكى.

أدارت وجهها عنه.

- ملكش دعوة.

فكرت للحظة ، ثم نظرت له.

- خلاص ابقى شيلها في المونتاج.

***

نظر فهمي إلى قلقاس محاولًا فهم أى شيء مما يقوله طوال هذه الساعة الماضية.

همس لآدم:

- انا مش فاهم حاجة خالص.

تنهد آدم وتحدث إلى عمه:

- معلش يا عمي .. قول تانى براحه.

تعصب قلقاس.

- أنا هنا مش عمك.. أنا البروفسير إبراهيم قلقاس.

ابتسم آدم بعد أن نظر إلى فهمي.

- ماشي يا جناب البروفسير .. قول تاني وبراحه لو سمحت.

اتكأ قلقاس إلى الخلف بفخر ،وثقة شديدة.

- نقول تانى.. كل المطلوب منكم الطيارة توصل لارتفاع ٣٥٠٠٠ قدم وسرعة ٩٠٠ كم.

قاطعه آدم:

- يا عمي ده احنا فاهمينه.

تعصب قلقاس أكثر.

- قولتلك بروفسير.

كتم فهمي ضحكته.

- يا جناب البروفسير احنا مش فاهمين التكنيك اللى بعد كده بتاع اختراق الزمن.

تعالى قلقاس بضحكته بكل ثقة وغرور.

- ولا هتفهموه ده عاوز عباقرة .. عباقرة يا أساتذة.

نظر آدم وفهمي لبعضهما البعض هامسان:

- شكلنا وقعنا.

- والله أنا خايف من عمك ده.

obeikandl.com

قاطعهما قلقاس دون أن يسمع ما يهمسان به.

- بتقول ايه يا كابتن انت وهو ؟

دخلت فهدة واضعة لهم الشاى والقهوة المميزه لقلقاس الذى أمسك بالفنجان ، وكأنه أمسك بجوهرة من الماس.

أجابه آدم :

- لا ولا حاجة يا عمي.

نظر فهمي لصدر فهدة المثير البارز ، وكأنه يعدل على آدم.

- بروفسيير.

- بلح.

قالها ادم ناظرا لعمه الممسك لفنجان القهوه كأنه طفل امسك بدميه يحبها مستهزئًا:

- بلح البلح .

***

أخذت الطائرة طريقها فوق السحاب بينما جلس الجميع يتهامسون عن هذه التجربة المثيرة ؛ فلم يتخيل أحد منهم يومًا ما أن يذهب بتلك السهولة إلى زمن آخر ، وقفت لبنى أمام الرئيس زكي العوامري بمقدمة الطائرة ، وحدثته بدلع أمام الكاميرا.

- منور يا سيادة الرئيس.

- لا دى منورة بيكم أنتم.

- تحب تقول ايه يا فندم في يوم زى ده ؟

نظر زكي إلى الكاميرا ،وكأنه يلقي خطاب للشعب مبتسمًا.

- أحب أقول لشعب مصر متخافوش أبدًا .. ومن تقدم لتقدم ، لأن ده المعتاد مننا طول ما فيه ناس وسطنا زى البروفسير إبراهيم قلقاس يبقى منخافش أبدًا.. اوعوا تخافوا

obeikandl.com

.. اوعوا تخافوا.

ابتسمت لبنى:

- لفتة كريمة يا فندم من سيادتك أن الرحلة تفتح للجمهور.

- لا متقوليش كده يا لبنى هم الأصل ،واحنا اللى طالعين معاهم .. كلنا ولاد البلد دى.

- شكرًا يا فندم.

***

نظر قلقاس إلى مؤشر الطائرة .. وصلت السرعه إلى ٩٠٠ كم .. .نظر له آدم وفهمى مترقبين.

أمسك قلقاس بالميك بثقة شديدة ، وبتركيز متحدثًا إلى جميع الركاب:

-آآآ .. كله رابط الأحزمة.

-أنصت له الجميع مترقبون.

- كله يتأكد أنه لابس الأونسيال اللى قدامه .. الكل يفكه ويلبسه في ايده الشمال بأكد تانى فى الايد الشمال.

وجد الرئيس في الكرسي أمامه اونسيال يشبه الساعة ذو إطار جلدي سميك أسود اللون بمنتصفه شاشة مستطيلة بها أرقام قام بفكه من الكرسى ،وارتداه في يده اليسرى.

سألت لبنى فؤاد الجالس بجوارها:

- ركبت أونسيال للكاميرا يا فؤاد ؟

أجابها مؤكدًا:

- أيوة طبعًا في جنبها الشمال.

جاء صوت قلقاس عبر الميك.

obeikandi.com

--ها الكل جاهز.

نظروا لبعضهم البعض بترقب.

يبدو أنه قد حان الوقت الآن للانتقال عبر الزمن .. حان الوقت للحظة الحاسمة ، أخرج قلقاس جهاز صغير من جيبه يشبه جهاز الأى باد له شاشة كبيرة مستطيلة أوصله قلقاس بالطائرة عن طريق وصلة يو اس بى.

ضغط قلقاس على الجهاز ؛ فكتبت أرقام تراها بوضوح عندما تنظر إلى شاشته (٢٣-٦-١٩٥٤)، وتسمعها من قلقاس يتمتم بها ،وتراها أيضًا تكتب على شاشات الأونسيالات المختلفة في أيدى الجميع بما فيهم آدم وفهمى وقلقاس نفسه نفس الرقم (٢٣-٦-١٩٥٤) نظر الجميع إلى الرقم بترقب ممزوج بفرحة تراها في أعينهم جميعًا.

نظر قلقاس إلى آدم نظرة لا يفهمها سواه.

نظرة المنتصر الممزوجة بالثقة والغرور.

ضغط قلقاس على الجهاز بيديه .. ضغط على الزر الوحيد به المكتوب عليه (اوك).

ضغط على الزر فزادت سرعة الطائره أضعاف مضاعفة ....سرعة صاروخية وسط ترقبهم جميعًا ، ووسط تمتمات الشيخ عيسى بالقرآن .. تراهم جميعًا جاحظى العيون مترقبين ، الناظر من شباك الطائرة يجد السماء ، وهى تتحول إلى دوامات سوداء اللون تخترقها الطائرة ، وكأنه طريق جديد ألقيت به.

ابتسامات قلقاس تزداد بثقة مع ازدياد هذه الدوامات ، حبس الجميع أنفاسه بينما تابع قلقاس جميع الأجهزة ، والمؤشرات وسط صمت تام من آدم وفهمي.

ظهر على جهاز الرادار جسم غريب لاحظه قلقاس يقترب عن بعد ، فجأة أطلقت سارينة الإنذار بالطائرة .. أصاب التوتر والقلق الجميع .. الجميع يعلم أن هذه السارينة لا تعمل

إلا في حالات الخطر كالحريق أو التصادم ، جحظت عيني آدم وفهمى المتوتران متسائلان في آن واحد:

- ايه ده يا بروفسير ؟

أجابهم قلقاس بتوتر شديد .

- مش معقول .. مش ممكن يكون ده صح.

صرخ ادم:

- فيه ايه يا عمي ؟

اقترب الجسم الغريب أكثر وبدا واضحًا على شاشة جهاز الرادار بينما ازدادت حدة سارينة الإنذار ، جحظت عينى قلقاس.

- اللى بيحصل ده بيحصل واحد في المليون.

صرخ فهمي:

- فيه ايه يا عم الحج ؟

- ده نيزك.. نيزك هيضرب الأرض واحنا هنخبط فيه.

قالها قلقاس بصوت مرتعش.

تعالت حدة سارينة الإنذار ، وازداد الرعب على وجوه الجميع مع تعالى صرخات آدم وفهمي.

- هنموت صح ؟ هنمووت.

- منك لله يا عمي.

صرخ بها آدم في وجه قلقاس.

وكانت هذه آخر ما تستطيع تمييزه قبل التصادم بالجسم الغريب ، انقطعت الكهرباء ، وساد الظلام الدامس وحدث انفجار شديد لا يعلو على صوته إلا صوت صرخاتهم وسقطت

الطائرة. تسمع دوى سقوطها بقوة ، والنيران مشتعلة بها.

ترى هل سيموتون جميعًا..أم سينجو أحدهم ؟

أين ستسقط الطائرة ؟ أين موقعهم من الكرة الأرضية ؟

هل سيلتهمهم المحيط ،ويبيتون وجبة دسمة لأسماك القرش ؟

أم سيقعون على أرض صلبة محترقين ، وتتفحم جثثهم ؟

تساؤلات عديدة جميعها تُنبىء بنهاية غير سعيدة للرحلة قبل أن تبدأ .

رحلة السفر عبر الزمن.. رحلة إبراهيم قلقاس.

obeikandl.com

تل جمدة نصر

سقطت الطائرة ، وسقطت معها أحلامهم ، لم يستطع قلقاس إثبات عبقريته ، ولعل العالم أجمع سيشاور على صورته مستهزئًا به وباختراعه ، ومن يعلم فقد يحرقون جثته أو يتركونها تأكلها الطيور رافضين دفنها إذا وجدوه ، ستغرق رضوى في انتظارها اليائس طوال حياتها ، وقد تنسى آدم وتتزوج من غيره ، وترسم لنفسها حياة أخرى .. من يدرى ؟

تصاعدت الأدخنة من حطام الطائرة على حافة بحيرة كبيرة زرقاء اللون مسطحة المياه ، تصاعدت بألسنتها الرمادية اللون ، وكأنها تسافر إلى الشمس ، تلتهمها النيران بقوة .. لا تسمع إلا صوت أنينها المحترق يتخلله صوت العصافير المحلقة في السماء الممتلئة بالأدخنة.

ارتمت الطائرة على إحدى الحواف كهرة منبوذة من أصحابها سقطت في بئر من المياه ، ترى ركابها مبعثرين بالقرب منها مهلهلين الملابس ، وآثار الخدوش على وجوههم ، لكن ما الذى أخرجهم من الطائرة؟ كان من المفترض أن يحترقوا داخلها ، هل قفزوا منها وهى تسقط ؟

obeikandl.com

هل خرجوا منها بعد سقوطها؟ هل لذلك الجهاز العجيب دخل في ذلك؟ تحرك آدم فاتحًا عينيه بصعوبة .. ناظرًا حوله متحسسًا نفسه غير مصدق أنه ما زال على قيد الحياة ، نهض يتفقد المكان ، ويراهم حوله ينهضون واحدًا تلو الآخر ناظرين لبعضهم البعض ، همس آدم فرحًا:

- الحمد لله .. الحمد لله.

بحث فيهم عن عمه قلقاس ؛فوجده بالقرب من الطائرة ؛ فاقترب آدم منه محاولًا إفاقته.

-عمي .. عمي .. عمي.

فتح قلقاس عينيه ، ونظر حوله وإلى حطام الطائرة فامتلأت عينيه بالدموع ، وقف الجميع أمامه ناظرين له بتحفز شديد ، أدرك حينها كم اللعنات التي ستصب عليه منهم خاصة من زكي العوامري ، أدرك أن فضيحته ستصل لعنان السماء ، وستملأ من الغد مانشيتات كل الصحف و وسائل الإعلام.

سيكون هو المسئول عن كل شيء .. سيدفع الفاتورة بأكملها.

نظر إليهم حزينًا صامتًا . تحطمت كل آماله وأحلامه. انتهى عناء السنين نهاية مأساوية غير متوقعة. صحيح أنهم جميعًا بخير ، لكن الحزن والأسى والألم اعتصروا قلبه فلم يقوَ على الكلام آثرًا الصمت.

تحطم قلقاس داخليًا وآثر الصمت .. اقترب منه عزام صديق عمره مطبطبًا عليه:

- معلش يا صديقي الحمد لله اهو كلنا كويسين.

اقترب منهما عيسى ،وبإيمان نابع من القلب:

- قدر الله ، وما شاء فعل.

احتضن حميد صديقه سعيد مفزوعًا ناظرًا إلى قلقاس يلومه:

- كده يا عمو..كده..كنت هتموتنا .

هاجمه منير بقوة:

- والله ما نحس الطيارة غير أشكالكوا دى.

سأله حميد بحدة:

- وأنت مالك أنت هو أنا وجهتلك كلام ؟

صرخ فيه فخري ، وصرخ وراءه رجاله بنفس الحماس.

- خسئت أنت واختراعك اللعين.

- نعم .. بارك الله فيك.. ونعم القول.. خسىء هو ، واختراعه اللعين.

اقترب منير من قلقاس ، ونظر فيه عينيه ،وبقوة أشبه بالتهديد:

- مش تتأكد الأول من اختراعك بدل ما تجرنا وراك كده.

بكت لبنى من هول الموقف.

- منك لله يا أستاذ قلقاس.

حاول قلقاس الدفاع عن نفسه دون جدوى.

اقترب من زكي العوامري لعله يستدر عطفه.

- يا فندم ..الاختراع مبازش يا فندم.

النيزك ظهر فجأة ،واحنا بنخترق الزمن ومكانش في الحسبان.

رمقه زكي بنظرته الحادة أدرك حينها قلقاس أنه منتهى لا محالة .. ربما سيقذفون به خلف القضبان هذه المرة.

تساءل الرئيس مستهزئًا.

- اختراع ؟ وبتوعد.

- ماشي يا قلقاس حسابنا بعدين.

احتشد منير وفخري خلف الرئيس محرضين له على قلقاس.

- أيوة يا ريس وريله.

- المفروض يا ريس يتسجن بتهمة الشروع في القتل.

اقترب حميد من قلقاس مهددًا.

- أنا هخلي بابي يرفع عليك قضية ،ويسجنك على فكرة.

ردد خلفه أصدقاءه في آن واحد.

- اه واحنا كمان.

همس منير ،وهو ينظر لحميد وأصدقاءه مستهزئًا.

- جتها نيلة اللى عاوزة خلف.

حاول آدم التدخل لفض هذا الاشتباك ،وتخفيف الهجوم على عمه.

- ما تصلوا على النبي يا جماعة .....صلوا على النبي.

ردد بعضهم خلفه.

- عليه الصلاة والسلام .

لم يكن عزام متابعًا لهجومهم على قلقاس .. نظر عزام عزام حوله متفحصًا المكان .. اهتزت قرون الاستشعار لديه لعله يعرف أين هم الآن؟ .. نظر لأعلى فوجد تل رملي كبير به أشجار عالية على مسافات متباعدة .. نظر إلى البحيرة المحاوطة للتل ، اقترب عزام من كوم عالٍ على الأرض طوله حوالى مترين اشتمه وتلمسه .. وجده لزج الملمس ردىء الرائحة .. يبدو أنه روث لحيوان ما .. تفحصه عزام مذهولًا.. تساءل عزام داخله:

- ايه الحيوان ده اللى الروث بتاعه بالحجم ده ؟

جحظت عيني عزام غير مصدق ما طرأ في ذهنه. هذا الروث شبيه بالصور التي رآها في إحدى الكتب التي تتحدث عن حياة الديناصورات ، وأسباب إنقراضها.

obeikandl.com

لاحظ آدم عزام ؛ فذهب إليه متسائلًا:

- فيه ايه يا أستاذ عزام ؟

لم يعره عزام أى اهتمام.

تساءلت لبنى:

- طب هنعمل ايه دلوقتى ؟

اقترب فهمي من زكي العوامري.

- أكيد يا فندم فيه طريق قريب من هنا.

نظر زكي حوله متفحصًا المكان ،وكل ما يدور بخلده كيف يخرج من هذا المكان ؟

عزام نظر لآدم غير مصدق ما يراه.

كرر آدم السؤال مرة أخرى.

- فيه ايه يا أستاذ عزام ؟

اهتزت الأرض من تحتهم اهتزازات أرضية شديدة.

تستمع حينها إلى صوت قوى يتعالى ،ويتردد حولهم .. صوت جماعى من الهتافات يقترب عن بعد.

- ايه ده زلزال ؟

قالها آدم في ذعر.

صرخ زكي العوامري:

- منك لله يا قلقاس الكلب.

صرخ مجموعة الشباب السيس بهيستريا:

- يا ماامي.

obeikandi.com

بينما جلس قلقاس على الأرض غير مكترثًا بالاهتزازات حزينًا على ما آلت إليه أحلامه.
جرى زكي على قلقاس ،وأمسكه من ياقته صارخًا فيه بحدة:
- احنا فين هنا ؟ انطق:
جاوبه قلقاس بانكسار.
- معرفش .. معرفش.. معرفش.

تأكد عزام من هواجسه ،وأصبح يتحرك كالمجنون غير مصدق ما توصل إليه.اقتربت الهتافات أكثر .. تستطيع الآن أن تسمعها تزلزل كيانك بوضوح.
- كلنا بنحبه.. أب الكل.
بنحبه نحبه.. حبيب الكل.
نحبه نحبه .. كبير الكل.
- فيه ايه يا أستاذ عزام ؟
أصر آدم على سؤال عزام في فضول لعله يعرف السبب وراء حالته الهوجاء تلك .
يتكرر الهتاف كثيرًا ، وقد أصبح واضحًا بشدة .. وازدادت معه الاهتزازات بقوة .
شاور فهمي لأعلى التل.
- الصوت جاى من هنا.

جرى فهمي لأعلى يجرقدميه بصعوبة ، وجروا وراءه ؛حتى وصلوا لأعلى التل . بينما ظل قلقاس جالسًا في صمت وحزن أسفل التل ، جحظت عيناهم جميعًا.. تساءل آدم مذهولًا.
- حد يقوللى ايه ده ؟

على الجانب الآخر من التل مجموعة من الرجال العمالقة أطوالهم ١٨ متر تقريبًا.. مرتدين جلود حيوانات تغطي عوراتهم ، وبالطبع خطوتهم العادية في الأرض هى ما تحدث هذه الاهتزازات الشديدة..واحدًا تلو الآخر.

برقت عيني عزام وساد الصمت عليهم جميعًا ، ولفت نظره لافتة خشبية ضخمة طولها أكثر من ٢٥ مترًا على الجانب الآخر من التل ، دقق عزام بنظره ليقرأ ماكتب عليها (تل جمدة نصر) فتح عزام فمه مندهشًا. لم يصدق ما رآه أغلق وفتح عينيه أكثر من مرة ، وأعاد قراءتها(تل جمدة نصر).

همس عزام ، وكأنه يحدث نفسه:

- تل جمدة نصر.

لم يعد مجالًا للشك دمعت عيناه من الفرحة ، وبسعادة شديدة جرى عزام تجاه قلقاس أسفل التل صارخًا:

- قلقااس.

جرى وراءه الجميع والفضول يقتلهم. كادوا أن يقعوا من وقع الاهتزازات الشديدة واحدًا تلو الآخر ، أمسك عزام قلقاس بامتنان من كتفه ، والتف حولهم الجميع.

صرخ عزام فرحًا:

- قلقاس..احنا في حضارة عصر جمدة نصر.

جحظت عينا قلقاس غير مصدق متسائلًا:

- عصر جمدة نصر؟

أكد له عزام ، والفرح يتطاير من عينيه.

- أيوة .. عصر جمدة نصر.

صرخ الاثنان فرحان ،واحتضنا بعضهما البعض وبدأ يلتفان حول بعضهما يغنيان كالأطفال ،ويرددونها بنغمة ملحنة.

- عصر جمدة نصر ...عصر جمدة نصر.

نظر لهما الجميع غير فاهمين ،والاهتزازات الأرضية مستمرة مع أصوات الهتافات التي

obeikandl.com

تبتعد ببطء ، اقترب زكي العوامري منهما ،وصرخ في قلقاس بحدة:

- قلقاس أوقف المهزلة دى فورًا.

اتجه حينها قلقاس ناحيتهم في فخر ..ناظرًا بتعالٍ وثقة مبالغ فيهما.

- سيادة الرئيس .. أعزائي مستقلي رحلة السفر عبر الزمن احنا في.. بلاد الرافدين.

نظروا له غير فاهمين .. يبدو لهم قلقاس قد أصابه مس من الجنون ، فسحبه آدم من ذراعه محرجًا.

- أنا آسف يا جماعة.

وهمس لعمه:

- كفاية فضايح لحد كده ياعمي.

سحب عزام ذراعه من يد آدم مستنكرًا.

- اوعى يا آدم .

تحدث إليهم بمنتهى الفخر ، والثقة مرة أخرى.

- احنا في العراق .

ثم التف حولهم مثل الأطفال ،وكأنه فرح بدمية جديدة اشتراها له والده.

- العراق .. العراق .. العراق.. العراق.. العراق.

اقترب منهم عزام ،و بجدية بعد أن تلمس نظارته.

- في عام ١٩٢٠ اكتشف العالم الأثري(لانكدون) أثارعصر جمدة نصر في تل صغير بالقرب من مدينة كبش القديمة .. اللي هو احنا عليه دلوقتى.

فتح آدم فمه مذهولًا:

- تقصد أننا في ٢٩١٠ دلوقتى ؟

سيطر الذهول على الجميع بينما نطق عيسى.

obeikandl.com

- لله الأمر من قبل ومن بعد...لله الأمر من قبل ومن بعد....لله الأمر من قبل ومن بعد.

أمسك زكي العوامري قلقاس بقوة ،و بحدة:

- انطق احنا فين ؟

خاطبهم قلقاس بنفس طريقة عزام بكل فخر ، وثقة أيضًا.

- سيادة الرئيس .. أعزائى المسافرين عبر رحلة الزمن .. احنا رجعنا بالزمن لأكتر من ١٩٠ ألف سنة ، والعصر اللى احنا فيه دلوقتى اسمه عصر جمدة نصر ، وده اللى حضارته انتهت بطوفان نوح.

عصر.. جمده.. نصر.

عاود مرة أخرى الرقص كالأطفال ، لكن هذه المرة شاركه عزام ، والفرح يغمرهم بهيستريا ، بكت لبنى ، ومجموعة الشباب السبس بحرقة ، وكأنهم في مندبة ، بينما ضحك آدم وفهمي بهيستريا بعد أن نظرا لبعضهما البعض ، وتعالت الهتافات حولهم أكثر وأكثر ترج الأرض من تحتهم.

- كلنا بنحبه.. أب الكل.

نحبه نحبه.. حبيب الكل.

نحبه نحبه .. كبير الكل.

***

كانت الصدمة كبيرة عليهم جميعًا...من كان يتخيل أن يعيش في قرون سحيقة ماضية ؟ من كان يتصور أن يعيشوا جنبًا إلى جنب في زمن العمالقة ؟ الديناصورات فيه بالنسبة لهم مجرد فراخ بلدي صغيرة قياسًا إلى سلالتهم البشرية القديمة.

تساؤلات عديدة تناثرت في عقولهم تقرأها بمجرد النظر في أعينهم ، فآدم ..شاب في

مقتبل العمر ، ولم يتمتع بحياته بعد ، وحفل زواجه من حبيبته رضوى كان بعد يومين أصبح الآن على بعد ١٩٠ ألف سنة ويومين ياللمهزلة..لابد وأن هناك حل.. لابد أن عمه يمتلك حل لهذه المأساة ، زكي العوامري.. رئيس الجمهورية سيعتبرونه بالطبع مفقودًا أو غريقًا أو محروقًا ..وسرعان ماسيعلنون خلو منصبه ، وتعيين رئيس مجلس الشعب بدلًا منه لفترة مؤقتة تتم خلالها انتخاب غيره ؛ليجلس على كرسيه وهو مازال على قيد الحياة لم يستقل أو يموت ، لابد من وجود حل .. لابد من أن قلقاس يمتلك حل لهذه المأساة .

توتر الجميع بينما استنشق عزام وقلقاس الهواء في راحة تامة.. تكاد السعادة تقفز من عينيهما ؛ لتتجسد أمامك مخرجة لك لسانها لتخبرك بمدى سعادتها من هذه التجربة الفريدةو مازالت الهتافات ترج المكان ، ولكنها ابتعدت بعض الشيء .

- كلنا بنحبه .. أب الكل .

- بنحبه نحبه .. كبير الكل.

- نحبه نحبه . .حبيب الكل.

وقف قلقاس أسفل التل ناظرًا للبحيرة متأملًا لها في فخر ، بينما تلمس عزام نظارته وحدثهم بجدية.

- البنى أدمين في الفتره دى كان طولهم ٠٦ قدمًا يعنى حوالى ٨١مترًا.

- بالطبع لم تكن هناك فرصة لتصديقه قبل أن يشاهدوا ذلك بأعينهم ،بل كانوا سيصفونه بالمجنون ، ويقذفونه بالحجارة إذا أخبرهم بذلك من قبل.

ضحك آدم مستهزئًا:

- بلح...بلح البلح.

شرد حميد للحظة ، وتفاجأ وكأن لدغة عقرب.

- يا لهوى دول يبقوا طوال اوى....

ارتعشت لبنى خوفًا.

- ده احنا كده بالنسبة لهم زى النمل.

- احنا لازم نشوف حتة نستخبى فيها أحسن يدوسوا علينا.

قالها الرئيس زكي العوامري بتوتر شديد ،وتابعه فخري ومجموعة رجاله في آن واحد.

- بارك الله فيك ...ونعم التفكير ....لابد من مخبأ.

تمالك عيسى أعصابه ،ونظر إلى السماء مؤمنًا بقضاء الله.

- لله الأمر من قبل ومن بعد.

نظروا لبعضهم البعض ..واقترب عزام من فؤاد ،وأمسك منه الكاميرا المعلقة في رقبته متسائلًا :

- الكاميرا سليمة ؟

- أيوة.

- طب هات.

- أجيب ايه يا عم أنت ؟

- بقولك هات ملكش دعوة أنت.

اختطف عزام الكاميرا ،وصعد بها أعلى التل ، وبدأ بتصوير المكان والمظاهرة وتصوير لافتة (عصر جمدة نصر).

التفت آدم إلى عمه.

- ماتقول حاجه ياعمى.

استدار قلقاس لهم ،وبكل ثقة وفخر مارس هوايته بإلقاء الشعر.

obeikandl.com

ويوقى الفتى المخش وقد خوض فى مـــاء ليه الصنـديـد
لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودي
وبهم خر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد
ان أكـن مـــــعـــــجبـا فـــعـــجـبًـا عـجـيـب
لم يجد فوق نفسه من فريد انا تـــرب النـــدى
ورب القـــوافـــــى وســ مام العدا وغيظ الحسود

ودوا جميعًا قتل قلقاس في هذه اللحظة غيظًا منه.

- عليا النعمة أنتوا مجانين.

قالها زكي العوامري كاظمًا لغيظه ،بينما ضحك فهمي مستهزئًا :

- وقعنا.

لم يستطع زكي كظم غيظه أكثر من ذلك ؛ فهجم على قلقاس وأمسكه بقوة من ياقته ، وبتهديد واضح.

- اسمع يا قلقاس الكلب أنت.....شوفلك طريقة وزى ما جبتنا هنا .....ترجعنا تاني.

أكد فخري أبو الروس على كلامه محفزًا لزكى.

- أيوة بارك الله فيك ونعم التفكير.....لازم يرجعنا تانى.

اقترب منهم حميد ، وكأنه يتمسح فيهم .

- رجعنا يا عمو رجعنا.

نظر له منير مستهزئًا:

- جتها نيلة اللى عاوزة خلف.

أمسك قلقاس أيدى الرئيس بقوة ، وخلص ياقته من يديه.

- نزل ايدك أنا مسمحلكش.

obeikandl.com

ذهل زكي العوامري.

- انزل ايدى ؟ انت بتقول ايه يا قلقاس ؟

زاد قلقاس في غروره محذرًا زكي بقوة:

- البروفسير قلقاس.. البروفسيير.

حاول آدم التدخل للتهدئة.

- عمي .. يا عمي.. بالراحة كده .. والنبى انا فرحي كمان يومين.

أبوس ايدك.. أبوس ايدك رجعنا.. رجعنا عشان خاطري أنا.

نظر إليهم قلقاس بتكبر وغرور واحدًا تلو الآخر .. ابتسم وهو يرى نظرات التوسل في عيونهم جميعًا ، تقفز لتقف بين يديه منحنية طالبة الصفح والعون ، فكر قلقاس للحظات كانت بالنسبة لهم كالقرون الطويلة ، كلمة واحدة سينطقها تحدد مصائرهم ، أجابهم قلقاس بغرور:

- على العموم الجهاز سليم .. بس هو مصمم على مضاعفة قوى الدفع.

والرفع لأكتر من ألفين ضعف.

استراحوا جزئيًا الآن ؛فرد قلقاس عليهم لا يعنى رفضه إرجاعهم.

تساءل آدم مستفسرًا:

- يعنى ايه ؟

فجاوبه قلقاس موضحًا:

- يعنى لازم يكون فيه قوة دفع ، وقوة رفع أصلا عشان الجهاز يشتغل.

حلت نظرات الحيرة محل نظيرتها التوسل .. كيف يفهمون قلقاس وهو لم يصرح قط لأحد بتكنيك عمل الجهاز ؟ كان دائمًا يحبطهم ،ويشعرهم بغبائهم العلمى قائلًا جملته المعتادة:

- ده عاوز عباقرة .. عباقرة يا أساتذة.

ألح آدم متسائلًا:

- مش فاهمين يا عمي ؟

- يعنى لازم طيارة.

قالها قلقاس بتعالٍ واضح لهم ؛فنظروا تجاه حطام الطائرة في آن واحد ، ثم نظروا له .

سارع منير بالسؤال :

- وهنجيب منين طيارة في العصر ده ؟

كل ما بدر في أذهانهم جميعًا .. من أين يأتى قلقاس بطائرة في هذا الزمان الذي صنع فيه النبى نوح سفينته في أكثر من مائة عام ؟

نطق آدم ،وكأنه وجد الحل.

- شغله من غير طيارة يا عمي.

تبعه زكي العوامري مكررًا معتقدًا أنه الحل الوحيد.

- شغله من غير طيارة يا قلقاس.

اقترب منير بيه من قلقاس متوسلًا.

- شغله من غير طيارة يا قلقاس بيه.

وتبعه فخري أبو الروس مؤكدًا.

- أيوة بارك الله فيك ونعم التفكير .. شغله من غير طيارة.

- شغله من غير طيارة.

قالها الجميع في آن واحد منتظرين رد قلقاس.

بينما ألقى هو توسلاتهم في سلة المهملات.

obeikandl.com

- لا.. لازم طيارة.. لازم.. لازم.

فجأه وبدون سابق إنذار ظهرت رأس رجل ضخم من العمالقة تنظر لهم عن قرب.

تجمعوا جميعًا في كتلة واحدة ،والرعب يملأهم.

سألهم العملاق حائرًا:

- أنتم ايه ؟

تمسكوا جميعًا بعضهم ببعض ،وكأنهم تعرضوا لعاصفة شديده من الهواء الخارج من فمه عندما نطق بهذا السؤال.....تماسكوا ،وبحثوا في عقولهم عن إجابه عقلانية فلم يجدوا.

تساءل آدم:

- حد هيرد ؟

وابتسم ساخرًا:

- طبعًا مفيش رد مقنع.

اقترب العملاق بوجهه أكثر ، والحيرة تزداد على وجهه.

بكى مجموعة الشباب السيس ،ولبنى بهيستريا بينما ساد الصمت على الباقون وسط ضحكات آدم وفهمي بهيستريا ، رفع عزام الكاميرا يصور بسعادة بالغة ، بينما تساءل قلقاس في فخر موجهًا كلامه للعملاق.

- معندكمش قهوة يا أخ ؟

obeikandl.com

obeikandl.com

طيارة خشب

وقف البودى جارد بملابسهم الممزقة محاوطين للرئيس زكي العوامري في شكل دائري حوله ، وهو جالس على شاطىء البحيرة بمفرده ناظرًا لقلقاس المنشغل في محاولة يائسة ؛ لقطع إحدى الأشجار الضخمة ببلطة يبدو أنه أحضرها من الطائرة المحطمة ، ضرب قلقاس الشجرة بقوة دون جدوى ملحوظة مثلها كمثل كل الأشجار حولهم ضخمة تدب جذورها في الأرض بقوة من الصعب قطعها ، بل يبدو ذلك مستحيلًا ، لكن قلقاس لا يعرف المستحيل.

نظر له زكي العوامري حائرًا في أمرهل سيتمكن من صناعة طائرة خشبية فعلا كما وعدهم؟ وإن استطاع هل ستنقلهم إلى زمنهم فعلًا ؟ وكيف سيحدث ذلك ؟ ..التف الشباب السيس حول حميد الذي يغنى ويرقص ، وهم يصفقون له وكأنهم حولوا هذه المأساة إلى رحلة أو كامب في مكان اختاروه بإرادتهم.

- أبويا حارب الإنجليز أيام ماكان البحر غريق.

- أبقى أنا كداب ؟

- لا لا.

- أبقى أنا فشار ؟

obeikandi.com

- لا لا.

- كدبت عليكم ؟

- لا لا.

نظر إليهم قلقاس مبتسمًا فرحًا بغنائهم.

حاول منير اختراق هذه الدائرة المحاوطة للرئيس ؛ فاستوقفه البودى جارد بحدة.

- رايح على فين ؟

- عاوز أقابل الريس.

- فيه ميعاد ؟ سأله البودى جارد بتلقائية ، وكأنه يقف على باب قصر الرئاسة يتفحص الداخل والخارج ، وليس ناجون بالكاد من طائرة محترقة في زمن قبل زمانهم ب ١٩٠ ألف عام.

شاور له الرئيس:

- سيبه.

دخل منير وانحنى للرئيس:

- ربنا يخليك لينا يا ريس.

لم يكن زكي العوامري يستطيع تحمل أي شخص أو أي شيء في هذه اللحظة ؛ فقلقه الشديد عما سيصنعه قلقاس يكاد يقتله .

جلس منير بجواره مبتسمًا:

- الحقيقة يا ريس فيه مشروع كده كنت عايز أعرضه على سيادتك عشان.

قاطعه زكى بحدة ، وكأنه سينقض عليه لقتله بدلًا من قلقاس الغير قادر على لمسه بسوء لاحتياجه اللعين له .. ترى ذلك واضحًا في عينيه.

obeikandl.com

- أنت شايف ان ده وقت مناسب ؟

ابتسم منير متصنعًا محاولًا طمأنة زكي.

- راجعين يا فندم.

- راجعيين إن شاء الله.

نظر زكى إلى قلقاس المستمر في محاولاته اليائسة ببلطته اللعينة دون جدوى.

استمر حميد ، وأصدقائه في الغناء والتصفيق.

جلس عزام على شاطىء البحيرة بالقرب منهم شارد في الأفق..انعكست أشعة الشمس على مياه البحيرة ؛ لتعطى هذا اللون الذهبى الساحر المنعكس في عينيه ....شرد عزام في زوجته وابنته ..شرد في حياته السابقة..تذكر ملامح وجهيهما ؛ فعلى الرغم من مرور أكثر من ١٠ سنوات على فراقهما واحدة تلو الأخرى في نفس العام ؛فلم ينسَ ملامحهما ....ضحكاتهما....طريقتهما في الكلام كان عزام يحبهما بقوة. لقد كانتا نسخة متطابقة من بعضهما البعض..حتى في المرض والموت الذي لم يستغرق في جسدهما أقل من ستة أشهر.

تذكر عشقهما لعبد الحليم حافظ وأغانيه .. تذكر كيف غنتا سويًا أغنيه قارئة الفنجان في عيد ميلاد ابنته الأخير؟ قبل هجوم المرض عليهما كالوحش الكاسر.

غنتاها أحسن من عبد الحليم ذاته.

دندن عزام بالأغنية والدموع في عينيه:

- في حياتك يا ولدي امرآة عيناها سبحان المعبود

فمها مرسوم كالعنقود .. ضحكتها أنغام وورود

والشعر الغجرى المجنون .. يسافر في كل الدنيا

قد تعدو امرأة يا ولدى يهواها القلب هى الدنيا.

سمعته لبنى المارة ناحيته ؛فابتسمت واقتربت منه وجلست بجواره.

--صوتك حلو أوى على فكرة.

ابتسم لها مجاملًا ،ونظر للأفق أكثر شرودًا.

***

انطلق آدم جالسًا على كتف الرجل العملاق الذي يبلغ طوله ثمانية عشر مترًا .....لم يصدق آدم نفسه حين نظر من أعلى على الأرض.....كاد أن يغشى عليه ، ويسقط لولا أنه تمسك بقوة في كتفه ، نظر له العملاق مبتسمًا:

- لا تنظر إلى الأسفل ،وتمسك جيدًا.

تمسك آدم بقوة في رقبته.

انطلق العملاق بسرعة ....مخترقًا الأشجار على جانبيه التي تبدو لآدم كالمسرع بسيارته بجنون ،وكأنها تخترق الأشجار على جانبيها.

أمسك آدم بقوة صارخًا:

- اووووه.

ابتسم العملاق متسائلًا:

- ما اسمك ؟

- آدم.

كان صوته لا يصل إلى العملاق فعاود سؤاله:

- ماذا ؟

اقترب آدم من إحدى أذنيه ،وبصوت عالٍ جاوبه:

- آدم.

فابتسم العملاق.

obeikandi.com

- أنت على اسم أبو البشر.

فرد له الابتسامة.

- اه.

- وأنا سواع.

- أهلا بيك.

نظر آدم إلى الأمام .. لا يرى سوى الأشجار على الجانبين ، وتساءل بعد برهة:

- هو السوق بعيد؟

- لا أنه قريب جدًا.

همس آدم ضاحكًا:

- قريب بالنسبة لك ،لكن بالنسبة لنا سفر.

تبعه سواع بجدية:

- أريدك أن تعرف أننى أكره الذهاب إلى هناك ،ولكن لا مفر فأنتم تحتاجون للطعام.

ابتسم له آدم ابتسامة نابعة من قلبه.

- ربنا يكرمك والله أنت جيتلنا في الوقت المناسب.

استمع آدم لنفس صوت الهتافات التي استمع لها أعلى التل.....بحث حوله عن مصدرها.

- بنحبه نحبه .. حبيب الكل.

نحبه نحبه .. أب الكل.

نحبه نحبه .. كبير الكل.

obeikandl.com

رآهم آدم مجددًا يهتفون بنفس الحرارة بالقرب من الطريق المليء بالأشجار ، لكنه لم يشعر بتلك الاهتزازات السابقة هذه المره ، ولعل هذا بسبب جلوسه على كتف سواع بعيدًا عن الأرض.

فتساءل حائرًا:

- مين دول ؟

جاوبه سواع بعد أن نظر إليهم.

- هؤلاء مجموعة الهتافين.

مر بجوارهم مسرعًا فى طريقه بينما تساءل آدم مرة أخرى مستفسرًا:

- ايه ؟ يعنى ايه ؟

- الهتافين .. هذا عملهم يهتفون ليلًا نهارًا لكبير القبيلة مقابل الطعام.

نظر لهم آدم ،وهما يبتعدان عنهم مستغربًا بينما استمروا هم في الهتاف بحماس:

- بنحبه نحبه .. حبيب الكل.

نحبه نحبه .. أب الكل.

نحبه نحبه ..كبير الكل.

ضحك آدم عاليًا هامسًا:

- ده من زمان أوى بقه.

فسأله سواع:

- ما الذي يضحكك ؟

- لا أبدًا ولا حاجة.

وانطلق سواع به مسرعًا في طريقه إلى السوق.. سوق جمدة نصر ، وقف الشيخ عيسى إمامًا يصلى ،ووراءه مجموعة قليلة من ركاب الطائرة واقفون في خشوع في أحد الجوانب

بينما تمادى حميد في غنائه ، ورقصه وصفق له أصدقاءه المنحلين.

- أبقى انا غلطان.

- لالا.

- أبقى أنا فشار.

- لالا.

كدبت عليكم.

- لالا.

- الله أكبر.

قالها عيسى بصوت عالٍ أثناء ركوعه ،وكأنه يعترض على هذا الغناء المسف ، استمر قلقاس في قطع نفس الشجرة بدون نتيجة ملحوظة ؛ فلا ترى فيها سوى قطع بسيط جدًا ، يبدو أنه سيستغرق أكثر من أسبوع حتى يقطع أول شجرة سحقًا لهذه الأشجار صعبة القطع ، ولعل هذا يفسر المائة عام التي قضاها نبى الله نوح يصنع سفينته على إحدى التلال.. لعله يعكف الآن بالقرب منهم في مكان ما يصنع سفينته وسط سخرية قومه.

جلس منير وفخري أبو الروس ،ومجموعة رجاله حول الرئيس زكي العوامري يضحكون بصوت عالٍ وسط حراسة البودى جارد حولهم ،بينما تعالى صوت عيسى أثناء ركوعه معترضًا:

- الله أكبر.

أمسك فؤاد بالكاميرا يصور عزام عزام المتحدث بطلاقة في الميك الممسكة به لبنى.

- وزى ما احنا شايفين دى بحيرة هتبقى بعد الطوفان البحر الأسود.

شاور عزام إليهما ناحية البحيرة ، بينما همست لبنى إلى فؤاد:

- حاول متجبنيش عشان البهدلة دى.

obeikandl.com

قصدت لبنى ملابسها المهلهلة بينما استكمل عزام في فخر العلماء .

- وده لأن مياه البحر الأبيض المتوسط هتملاه ،وهو على فكره مش بعيد عن هنا خالص.

سألته لبنى مؤكدة على فؤاد بالإشارة ألا يظهرها في الكاميرا.

- وبالنسبة للعالم الكبير إبراهيم قلقاس يا ترى هيقدر يتغلب على الموقف ده ، ويرجعنا كلنا ؟

ابتسم عزام بثقة:

- محدش يعرف قلقاس قدي .. صديق عمري كله .. ولما يقول هيقدر يرجعنا يبقى هيقدر.

كان عزام واثقًا في قلقاس ،وقدراته في تحقيق أى شىء.

- طب هل يجوز استخدام طائرة خشبيه كبديلة عن الطائرة المتعارف عليها ؟

أجابها ،وكأنه في مؤتمر صحفى يعلن اختراع خاص به.

- امال دور العلم ايه يا لبنى ؟ وبعدين لعلمك ماتور الطيارة الأولانية سليم مفيهوش حاجة.

- بجد ؟

- أيوة .. وعلى مسؤوليتى أنا هنرجعكم .. هنرجع كلنا .. نرجع بقة لمرجوعنا.

واصل عزام حديثه بمنتهى الفخر.

- الناس دى بقه أطلق عليهم بعد الطوفان بنى راسب ،وطبعًا واضح من الاسم أنهم غرقوا.

كان عزام فرحًا بشدة بالكاميرا ،ولعل ذلك راجع إلى مكوثه دائمًا في الكواليس بينما حصد قلقاس كل الشهرة من وراء اختراعه على الرغم من مساعدته له بمعلومات كثيرة ،

obeikandi.com

لعلها كانت المحرك الرئيسى وراء هذا الاختراع.

مر فهمي بجوارهم ناظر لهم مبتسمًا .. استنشق الهواء بقوة ، وكأنه لم يستنشق هواء نقى مثله من قبل .. لاحظ فهدة جالسه بمفردها على شاطىء البحيرة .. اقترب منها لعلها اللحظة المناسبه ليخبرها بحبه وعشقه لها.. لعلها تستجيب له هذه المرة.. بعد كل محاولاته اليائسة معها.

لم ينسَ فهمي تلك الصفعة التي تلقاها من فهدة حين حاول أن يقبلها ....طالما كان يتعامل معها بجرأ ، وطالما نهرته على ذلك.. لكنه لم يمل..كان جسدها الممشوق يأسره ، كان فهمى كما يقولون(مقطع السمكة وديلها) على العكس من آدم الذي اكتفى بعشقه لرضوى وكفاه عن كل نساء الكون ، لعل هذه هي الفرصة المناسبة لفهمى للإيقاع بها.. ربما الوضع الجديد الآن يغيرها ، جلس بجوارها .. لم تلتفت له .. نظر ناحية الأفق مثلها ،وحادثها

مبتسمًا:

- مش عوايدك يعنى تقعدى لوحدك كده ؟

تنهدت فهدة:

- فرصة اقعد شويه مع نفسي.

- طب ممكن اقولك حاجة ؟

سألها ،وعينيه مليئة بالحب.

قاطعته ناظرة له بحدة:

- فهمى .. لو سمحت.

نظر في عينيها محاولًا التأثير عليها.

- أنا لسه بحبك .

لم تعره أى اهتمام ونظرت إلى الأفق ،وكأنه لم يقل شيئًا.. أمسك يدها ، واقترب بشفتيه من يديها ليقبلها ، في محاولة جديدة ، لكنها نزعت يدها من يده بقوة ، وبحدة حدثته:

- عاوزة اقعد لوحدى شوية.. ممكن ؟

نظر لها ،والدموع بعينيه متأثرًا ، وأدرك أنه فشل هذه المرة أيضًا.

obeikandl.com

سوق جمدة نصر

وقف آدم خلف شجرة عملاقة قريبة من مدخل السوق تلصص من خلفها على هؤلاء العمالقة المرتادون لهذا السوق العجيب..قتله الفضول هناك ،وهو يتذكر كلمات سواع العملاق .

- إياك أن تتحرك من هنا.. سأجلب لكم الطعام ، وآتي إليك.

على الرغم من معرفته بأخطار دخوله لهذا السوق ،وأنه قد يتعرض للدهس كنملة ضلت طريقها ، لكنه لا يستطيع قهر فضوله ، كان السوق مستطيل الشكل طويل ، وكأنه شارع مستقيم على جانبيه البائعون العمالقة .. كل بائع يخفى الذي يليه من ضخامته خاصة بالنسبة لمن في حجم آدم .. جلس البائعون على مسافات متساوية من بعضهم البعض ،والتف حولهم رواد السوق بانتظام مدهش .

فتح آدم فمه مندهشًا حين اخترق هذا السوق منبهرًا بنظامه ، كل بائع يبعد عن الآخر بمسافة كبيرة متساوية بينه وبين الذي يليه .. رصت البضائع خلفهم بشكل مربع الشكل ،وعلى الرغم من كبر حجم الزبائن والبائعين وكثرة عددهم ؛ فإنك لا تشعر بهذا الزحام مطلقًا.

obeikandi.com

تعالت أصوات البائعين بشكل متوالٍ ومنظم ؛ بحيث لا ينادى بائع على بضاعته إلا حينما ينتهى من قبله من ندائه .. كل في وقته ودوره .. ومن حيث ينتهى أحدهم يبدأ الاخر في النداء وهكذا.

العجيب ألا أحد ينظم ذلك ، لكنه يسير بشكل مدهش للغاية.

- كافور ... كافور..كافور.. .ورق الكافور المغلي

نادى البائع الأول بحماس شديد على بضاعته المعلقة خلفه:

- صنوبر...مشوي ومقلي.. تعال إلى هنا.. الصنوبر المشوي .....صنووووووبر.

تعجب آدم .. أنهم يأكلون أوراق الشجر .. هل هذا معقول ؟.. أناس بهذا الحجم العملاق ،ويأكلون أوراق الأشجار.. نظر إليهم ،وهم يتهافتون على الشراء متعجبًا.

-يكونش ده الخضار بتاعهم.....زى الملوخية كده.

مر على المتجمعين حول بائع الكافور ناظرًا إليهم محذرًا:

- الكافور ده مش حلو على فكرة ، متكتروش منه.

لاحظ آدم أجساد حيوانات ضخمة معلقة في منتصف السوق.

- أيوة بقه اديني في اللحمة.

لم يكن الدور قد أتى على بائعها ؛ لكى ينادى على بضاعته فقد تكرر قبله أكثر من عشرة بائعون للصنوبر والكافور ، نطق البائع في دوره:

- لحوم ديناصورات ...لحوم ديناصورات .. المشوي منها والمقلي ..لحوم ديناصورات..كل مالذ وطاب تعال إلى هنا...تعال.

كتم آدم ضحكته.

- بتأكلو ديناصورات .. امال ايه.. ماهى عاملة زى الفراخ بالنسبة لكم .. مش ١٨ مترًا.

أحس آدم أنه في عرض أشبه بالسيرك ...كان سعيدًا جدًا لما يراه ...فلم يتعرض أحد من بني البشر لهذه التجربة كما يتعرض لها هو..حتى كل من مروا معه من بؤرة الزمن لم يروا هذا السوق...لعله يجلس مع أولاده من رضوى ذات يوم فى إحدى الحدائق يحكى لهم عن هذا السوق الخاص بالعمالقة الذين يأكلون أوراق الأشجار والديناصورات المشوية والمقلية.

ابتسم آدم واستمر في استكشاف هذا السوق المثير خاصة أنه لم يتعرض لأي محاولة للدهس حتى الآن.. ربما يرجع ذلك لهذا النظام الذي يتحرك به السوق أجمعه ؛ فكان سهلًا على آدم توقع حركة الآخرين والتكيف عليها.

استمع آدم إلى صوت إيقاع على طبلة بالقرب منه.. تلفت حوله واقترب من الصوت ، وصل آدم إلى ساحة دائرية كبيرة وسط السوق بها مجموعة من السيدات العمالقة المرتديات جلود الحيوانات حول مناطق عوراتهن فقط .

وكان جميع الناس رجالًا ونساءً يرتدون جلود الحيوانات ، لكنها كانت تختلف من شخص لآخر في اللون ، وفي حجم ماتغطيه من أجسادهم.

كانت السيدات في هذه الساحة يرقصن على هذا الإيقاع المنغم على الطبلة .. كان من يطرق على الطبلة..(وبالطبع طبلة عملاقة مثلهم) ضخم أسمر اللون ..استمع آدم إلى هذه النغمة .. أنه سمعها من قبل .. ركز فيها وبدأ يدندن معها مستكشفًا لحن الأغنية .

- الليل .. الليل .. ال يا ميمون .

ضحك آدم .. أنه لحن القرداتي في زمنهم .. تعجب لهذا التوارث العجيب عبر الأجيال السحيقة ولكن شتان بين القرد والمرأة ، كان الزبائن الرجال يدخلون هذه الساحة يتفرجون على النساء ،وإذا أعجب أحدهم بامرأة يذهب لدفع النقود لذلك الرجل الأسمر الممسك بالطبلة ، ويأخذها في هدوء ، يبدو أنه سوق الجواري ، ابتسم آدم وأخذ يتجول

في هذا السوق العجيب مدندنًا:

الليل ..الليل .. ال يا ميمون .

اقترب آدم من ساحة أخرى دائرية بعد مجموعة من البائعين الجالسين بشكل مستطيل ، ساد الصمت في هذه الساحة.. اقترب آدم أكثر مستكشفًا ، عدد كبير من العمالقة الرجال يسجدون في اتجاه واحد...تعجب آدم متسائلًا في حيرة:

- ايه ده هما بيصلوا ولا ايه ؟

تساءل آدم .. هل هذه صلاة.؟..هل كانت هناك صلاة فى هذا الزمان .؟.. إذا كان كذلك سيكون اكتشاف كبير.. نعم...لابد له أن يخبر عزام عن ذلك الاكتشاف ليأتي ويصور بالكاميرا ، اخترق آدم تلك الصفوف الحاشدة من الساجدين في هدوء ، لكنه وجد إجابته حين رأى هذه التماثيل الضخمة في مقدمة هذه الساحة ، مجموعة كبيرة من التماثيل مختلفة الأحجام متراصة بجوار بعضها البعض أكبرها طولًا في الوسط ، وتتصاغر في الطول حتى أصغرهم في الجانبين ،وكأنه هرمًا ، اقترب آدم من هذه التماثيل وسط نداء أحد الباعة بحماس شديد:

- اشترى الإله وضعه في بيتك ..هيا .. اشترى الإله.

اقترب آدم من أصغرهم وتلمسه.. وقف بجواره.. قارن طوله بالتمثال .. أنه في نفس طوله تقريبًا.. تهكم على الساجدين ناظرًا لهم.

- اخص. هو أنتم منهم.

لم يكن آدم يتخيل أنه يرى عابدي الأصنام أمامه رؤى العين .. تحرك الكثير من الزبائن يعاينون التماثيل الصغيرة ، ويشترونها مقابل أكياس من النقود ، اقتربت طفلة صغيرة طولها ٨ متر من آدم الذي رآها ، فتصنع أنه تمثال مثل باقي التماثيل ووقف جامدًا ،

اقتربت منه الطفلة العملاقة ونظرت إليه ، تحسسته مستغربة من ملمسه ، وصرخت كالتي وجدت غايتها .

- اماااه .. اماااه.

أريد هذا يا أماه .. أريد هذا.

شاورت على آدم معتقدة أنه تمثال كباقي التماثيل ، فتسمر آدم في مكانه لا يدرى ماذا يفعل ؟ ، اقتربت أم الطفلة منحنية تنظر إلى آدم ، ثم اعتدلت وحدثت البائع :

- بكم هذا الإله يارجل ؟

جاوبها البائع بحدة ،وكأنه يخبرها أنه لا مجال للفصال.

- كلهم بسعر واحد.

- لكن هذا صغير .. أتبيع الصغير كالكبير ؟

- كلهم آلهة .. وإذا لم يعجبك فلا تشتري.. هيا .. هيا هيا.. اشترى الإله وضعيه فى بيتك ود ولاسواع ونسر ويعوق..ويغوث.. هيا اضمن ثناء الآلهه عليك هيا ..هيا.

نادى البائع بحماس شديد ، بينما تمسكت الطفلة بآدم باكية.

- أريد هذا يا أماه أريده أريده .

أخرجت الأم أكياس النقود ،وناولتها للبائع.

- حسنًا ..اصمتى اصمتى .. خد يا رجل .. هاك الثمن.

- باركتك الآلهة.

أمسكت الطفلة بآدم كالدمية وسط ذهول آدم.

لا يدرى آدم ماذا يفعل ؟ هل يجرى ؟هل يصمت ؟ماذا سيفعلون به إذا اكتشفوا أمره ؟

صمت آدم وهو يدرى أنه تورط في أمر لا يعرف مداه سوى الله .. تحركت الأم والطفلة

obeikandl.com

في السوق بسرعة ، وآدم في يد الطفلة كالدمية ، يرى الناس بالمقلوب ، وأصابه الدوار الشديد ، لكنه تماسك فلابد لهذا من نهاية ...من المؤكد أنها ستتركه ، وعندها سيجرى منها ، ويهرب بكل قوته ، اقتربت الأم من تجمع داخل السوق لمجموعة كبيرة من الرجال والنساء يلتفون حول رجل يقف في المنتصف على منصة عالية رآه آدم مقلوبًا ، وحاول أن يعدل رقبته فلم يستطع ، تحدث الرجل في شراسة وحدة:

- أنا لنراه في سفاهة.. مؤكدًا اعتراه أحد آلهتنا بسوء . . ماهذا إلا بشر منكم يأكل مما تأكلون منه.. ويشرب مما تشربون منه .. ولئن أطعتم بشر مثلكم أنكم إذا لخاسرون .

تساءل في سخرية:

- أيعدكم أنكم إذا متم ،وكنتم ترابًا وعظامًا .. أنكم مخرجون.

هيهات هيهات .. لما توعدون .

قالها عدة مرات نافيا بقوة.

- إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين .. إن هو إلا رجل افترى على آلهتنا كذبًا ،وما نحن له بمؤمنين.

أدرك آدم من اللحظة الأولى أنه يتحدث عن نبى الله نوح..أدرك أنه يعايش الآن جحود هؤلاء القوم ، وإنكارهم لنوح ، أدرك ذلك حين نظر في وجوههم المقلوبة...والجحود والكفر يقفز من عيونهم جميعًا ، فجأة قذفته الطفلة في الهواء عدة مرات .. في كل مرة يطير آدم في الهواء كاتمًا صرخته خوفًا من الوقوع أرضًا ، ظلت تتلاعب به في الهواء ضاحكة ، وكأنها تلعب بدمية صغيرة حتى نهرتها أمها:

- كفى عن اللعب بالإله حتى لا يقع ، وينكسر ويغضب منكى.

تمادت الطفلة في لعبها عندًا مع الأم ، وعلى وجهها ابتسامة مستفزة ، مما دفع فضربتها على وجهها ، فبكت الطفلة.. وقذفت آدم إلى الهواء وتركته يقع استمرارًا في عنادها لأمها..

وقع آدم على الأرض متوجعًا بشدة .. نهض وتوجه إلى الطفلة وبتلقائية ركلها في قدميها عدة مرات.. انخفضت الطفله إلى مستواه... حادثها آدم غير واعٍ لما يفعله.

- انتى يازفتة .. مش تاخدى بالك ؟ ده ايه لعب العيال ده.

جحظت عيني الطفلة وصرخت:

- الآلهة تتكلم .. الآلهة تتكلم .. الآلهة تتكلم.

انقلبت الساحة رأسًا على عقب ، وانتشر الهرج والمرج في المكان ، ولم ينقذ آدم من هذه الفوضى سوى سواع الذي رأه ، وأخذه في قبضة يده مبتعدًا به عن السوق وسط صراخات الجميع.

- الإله يتكلم . . الإله يتكلم.

انفجر آدم في هستيرية ضحك ، وهو يبتعد عن السوق بعد أن وضعه سواع على كتفه مرة أخرى ، استنكر سواع متسائلًا:

- أتضحك ؟ لقد كادوا أن يفعصوك تحت أقدامهم.

لم يستطع آدم التوقف عن الضحك.

- مش قادر.

- ألم أقل لك أننى أكره هذا المكان ..هيا أمسك جيدًا...لابد وأن أصحابك جائعون سأزيد سرعتى قليلًا .

- بس أنا معدتى مش جاية على ورق الشجر بصراحة.

- ماذا عن لحم الديناصورات ؟

- لا .. عامل ريجيم.

وانفجر مرة أخرى في الضحك ..وانطلق سواع في طريقًا..بينما تمسك آدم جيدًا في رقبته .

obeikandl.com

قلقاس بن فرناس

ما زال قلقاس يتهاوى ببلطته الصغيرة على جسد هذه الشجرة العملاقة..ضربها أكثر وأكثر دون جدوى تذكر.. بدأت فكرة لعينة تتردد في ذهن زكي العوامري..لم يكف زكى عن النظر إليه طوال الوقت تقريبًا.. ولدت الفكرة فى داخله ،ونمت بسرعة جنونية.. سيطرت على عقله ، وكادت تشعره بالشلل.. يصعق حين يفكر قليلًا في مداها ومعناها .يصعق كمن لمس سلكًا كهربائيًا عاريًا ، نظر له زكي حائرًا ،وكأن هناك من يحدثه بصوت يتردد داخله كصدى الصوت مرارًا وتكرارًا.

- نوح بنى سفينته في ١٠٠ سنة ، ١٠٠ سنة ، ١٠٠ سنة .

تكررت الجملة في ذهن زكي ، وكأنها تخرج له لسانها ،وكأنها تخبره أنها نفس المدة التي سيستغرقها قلقاس في صنع الطائرة ، وربما أكثر فهناك فرق بين سفينة وطائرة ، قلقاس كان يدرك ذلك جيدًا ، لكنه كان متفائلًا ، لأنه سيصنع طائرة صغيرة وليست سفينة ضخمة تتسع لأعداد كبيرة من البشر والحيوانات ، تناثرت قطرات المياه على قدمي فهدة الناعمتين وهى تغسلها في مياه البحيره كقطرات الندى.. وقفت بعيدة فى عزلة عنهم .. كانت قدميها مكشوفتان يتلمسهما ضوء القمر المتسلل لهما.. ولم يشاركه متعة رؤيتهما إلا فهمى الواقف في ركن قريب يختلس النظر إليها وإلى جسدها المثير الناعم من آن لآخر دون أن تراه.

وقف عزام أمام معشوقته الكاميرا ، وسجل مع لبنى معتبرًا نفسه معلقًا على التاريخ الذي يعايشونه الآن ، بينما ضحك فخري أبو الروس على نكتة قالها منير ، وتبعه مجموعة رجاله بالضحك دون حتى أن يفهموا النكتة.. يضحكون لمجرد أن كبيرهم يضحك.

- بارك الله فيك.. ونعم النكتة.

قالها فخري أبو الروس ،وهو يضحك بشدة ، جلس عيسى يلقي خطبة ،وكأنه في حلقة علم في أحد النواحي القريبة :

- إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد عبده ورسوله ، لم يكن المتلقون لهذه الخطبة من ركاب هذه الرحلة الزمنية بكل كانوا جميعًا من العمالقة .. مجموعة من الرجال العمالقة جالسين أمام عيسى يستمعون لخطبته ،وعلى الرغم من أنهم لا يفهمون معظمها إلا أنهم كانوا منصتين للغاية ،ويبدو أنهم من أصدقاء ، وأقارب سواع وعلى الأرجح أنهم من القلة القليلة من هذا القوم الكافر المؤمنين بنوح ، وبرب نوح جل وعلا.

جلسوا منصتين لعيسى يشرح لهم أمور الدين .. الدين الذي لم يهبط بعد على الأرض وشاءت الأقدار أن يسافر أحد أتباع هذا الدين إلى زمنهم ليعلمهم اياه ، أليس من العجيب أنهم حتى هذه اللحظة لم يلتقوا بنبي الله نوح ؟ أو حتى يسألوا عنه... ربما انشغلوا كل في حاله.. أو ربما لم يستوعبوا ما يحدث لهم حتى الآن.

وجد قلقاس من سواعد العمالقة وسيلة سريعة لمساعدته في صنع طائرته الخشبية.. ساعده سواع في إمساك الشجرة من أعلى واقتلاعها بقوة ؛ حتى تسقط على الأرض وسط ابتسامة انتصار من قلقاس ، والواقف بجواره آدم ابن آخيه ، تكرر هذا العمل عدة مرات ؛ حتى وصل عدد الأشجار إلى ١٦ شجرة ، حينها قرر قلقاس الاكتفاء بهذا العدد والبدء من

صباح الغد في تصنيع الطائرة ،ولعل ما سيساعده على ذلك بعض الأدوات التي كانت على الطائرة ، ولم تتلفها النيران.

جلس الجميع في دائرة استعدادًا لتناول الطعام ، فقد غلبهم الجوع جميعًا ، أخرج سواع أوراق الشجر من أكياس ورقية تشبه تلك التي يضع بها الفكهاني فاكهته عند بيعها أخرج منها أوراق الصنوبر ، والكافور ووزعها عليهم جميعًا مبتسمًا:

- هذه أوراق شجر مشوية ، ومقلية هيا كلوا ما طاب لكم.

لم يستطع أحدهم رفض هذه الوجبة لجوعهم الشديد ، على الرغم من احساس بعضهم بالقرف والغثيان ؛ فهل كان يتصور أحدهم أنه سيأكل ورق شجر في حياته؟ نظروا لبعضهم البعض في دهشة بينما تناول عيسى وجبته بشراهة قائلًا:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

ضحك آدم وفهمي بهيستريا بعد أن نظرا إلى بعضهما البعض وبدأوا الأكل ، وهمس فهمي لآدم ساخرًا: -

مش بقولك وقعنا.

تناولوا طعامهم جميعًا ، بحذر في البداية ثم انطلقوا يأكلون بنهم ، أخرج سواع من أحد الأكياس الورقية حبوب داكنة اللون رائحتها تشبه رائحة القهوة حجمها كحجمجة الإنسان ، وأعطاها لقلقاس الذي نظر لها مستغربًا وسأله:

- ايه دول ؟

أجابه سواع بتلقائية شديدة:

- هذه حبوب القهوة التي طلبتها ، امضغها ،ولكن بعد أن تنتهي من وجبتك .. هيا.

نظر قلقاس إلى هذه الحبوب بلامبالاة .. نظر بعدها إلى سواع المبتسم مشاورًا له

بالإيجاب بابتسامة صفراء.. واستكمل أكله من ورق الشجر التي استمر الجميع في تناولها مجتمعين ، ثم خلدوا جميعا إلى النوم بعد عناء يوم كامل .. يوم كامل بين زمنين.. يوم كامل مدته ١٩٠ ألف عام ، جلس آدم شاردًا حزينًا على شاطيء البحيرة الهادي العاكس لضوء القمر وسط سكون الليل ، وهدوء الطبيعة يفكر في حبيبته ويقتله شوقه إليها.. دمعت عيناه حين خطر على باله ماذا سيحدث إذا فشل عمه في إرجاعهم لزمنهم ، شعر بالعجز... نظر للقمر في السماء.

الجميع نائمون في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، سمع آدم موسيقى أغنية تخونوه لعبد الحليم حافظ ، نهض مذهولاً لينظر من أين تأتي هذه الأغنية ؟ ،

مستحيل هل يمكن أن يكون ما حدث كله من وحى خياله ، من أين تأتي أغنية كهذه في زمن كهذا؟ ، ظهرت فهدة على حافة البحيرة مرتدية فستان سواريه أسود اللون مكشوف الصدر ضيق.. يكسبها إثارة أكثر مما هي عليه.

لم يصدق آدم ما يرى وتساءل مستغربًا:

- أيه دا؟ والأغنية جاية منين؟

ابتسمت له فهدة ،واقتربت منه في بطء وقبلته في خده الأيسر .. اقتربت فهدة أكثر من شفتيه ،وطبعت عليها قبلة طويلة ، استسلم آدم لها لم يمنعها كالمسجون حيًا في قبر ضيق لا يقوى على الحركة فيه أو حتى على الصراخ .

انتفض آدم فجأة ،وكأنه تخلص من قيوده ،ودفعها بعيدًا صارخًا بشدة :

- لاااااا.

مازالت الأغنية في تتردد موسيقاها في أركان البحيرة.

- غلط اللي عملناه ده غلط.. غلط..أنا بحب رضوى..أبعدي..أبعدي.. أبعدي..

أرجوكي أبعدي.

لم يدرِ في هذه اللحظة هل ما يراه حقيقى أم انها مجرد هلاوس يجسدها عقله أمامه ؟ .. ارتبك آدم بشدة .. التبس أمامه كل شيء.. اختلط الواقع بالخيال.. قفزت من ذاكرته تلك الليلة السوداء... تلك اللحظة اللعينة.. لحظة ضعف تجاه إثارة فهدة له.. كان قد نساها تمامًا.. نساها وأخلص لرضوى بكل مشاعره وأحاسيسه.. ربما ما يشاهده الآن عقاب من الله على هذه الخطيئة الملعونة.

صرخ آدم بأعلى صوته:

- أبعدي ... أبعددي.

ابتسمت فهدة أكثر وتعالت الأغنية.

ظهر على التل منصة أشبه بستادج الحفلات ،وعليها فرقة موسيقية تعزف الأغنية على آلات موسيقية ، أمسك عزام مايك ،ووقف على الأستادج وغنى الأغنية بإحساس رائع... ذهل آدم مما يرى من أين أتت هذه الفرقة ؟ ، وماهذا الذي يرتدونه ؟ فجميعهم بما فيهم عزام يرتدون البدل السموكن السوداء اللون ، امتلأت البحيرة فجأة بالأنوار المتلاعبة كأحسن حفلة في أحد القصور الفخمة وسط ذهول آدم ، ظهر الجميع مرتدون بدل سوداء اللون ،وبدأوا الرقص حول البحيرة على نغمات الأغنية.

نظرت فهدة بقوة إلى آدم محاولة إغرائه ،وهي ترقص مع فهمي الناظر لها بحب شديد ، تحرك آدم بين الجميع بحزن ممزوج بالدهشة والذهول ، نظر آدم إلى أحد الأركان... همس داخله في حيرة:

- مستحيل!!

جحظت عيناه..لم يفهم ما يجري..أنها هي..رضوى..حبيبته..في أحد الأركان مرتدية فستان سواريه أبيض اللون..نعم أنها هي..تشع بنورها وسط هذا السواد الكالح..لعلها طوق النجاة مما هو فيه..أو أنها تعطيه قبلة الحياة..جرى آدم ناحيتها في فرح شديد

متجاهلًا التفسير ، لكنها اختفت..نظر حوله في كل مكان فلم يجدها.. ظهر له قلقاس فجأة وحدثه بطريقة غريبة:

- أخين توأم واحد سافر الفضاء ٥ سنين ،ورجع لقى أخوه زاد في العمر ٥٠سنة.

تركه قلقاس ورقص مع إحدى الفتيات .. تركه فريسة لما نبأه به .. أدرك آدم أن السنين تمر بسرعة صاروخية كلما بقى هو خارج نطاق زمنه ... أدرك أن حياته تتسرب من بين يديه كالمياه...هذا ما فهمه من قلقاس للتو ، ظهرت رضوى مرة أخرى كالقمر في السماء ، جرى نحوها فاختفت.. جرى آدم باحثًا عنها كالمجنون وسط الجميع مع استمرار الأغنية والرقص ، أدرك آدم أنه في صراع مع الزمن.

تذكر تلك الكلمات من عمه قلقاس في إحدى المرات في معمله الصغير حينما أمسك قطعة من الصفيح الساخن الملتهب:

- حط أيدك كده.

لم يستطع آدم وقتها لمس قطعة الصفيح ؛ فضحك قلقاس:

دقيقة على صفيح ساخن هتحس أنها ساعات .. إنما لو قعدت مع حبيبتك ساعات حتحس أنها دقيقة ، جحظت عيني قلقاس وقتها ناطقًا باكتشافه هامسا:

النسبية.. النسبية.

دارت بآدم الأرض ،وكأنه في دوامة.. بحث آدم عنها في كل مكان.. يأس من رؤيتها.. جلس آدم في مكانه حزينًا باكيًا..أدرك انه الخاسر حتمًا في هذا الصراع غير المتكافىء. استمرت الأغنية ، واستمر الجميع في الرقص ، نظر آدم للقمر شاردًا حزينًا.. متسائلًا : هل انتهى أمره أم أن هناك أمل ؟

أشرقت الشمس وألقت بضيائها على البحيرة ،وبدء يوم جديد ، وقف عزام أعلى التل ناظرًا إلى الأفق ، كان عزام أول من ينهض منهم في الصباح ،ويقف على التل لأكثر من

ساعة..طوال العشرة أيام التي مكثوها في هذا المكان ؛ حيث عكف قلقاس على صنع طائرته الخشبية ، سأله معظمهم:

- أنت بتعمل أيه يا أستاذ عزام كل يوم الصبح فوق التل ؟

لم يجيبهم واكتفى بابتسامته..لم يكن في حاجة لإجابتهم..كان يعلم أن الرد لن يأتى منه هو ، جحظت عيني عزام هذه المرة لعله وجد ما يبحث عنه كل يوم..ظهر قوس قزح في السماء .. لكن ما الغريب في ذلك ؟..كان عزام يعلم أن ظهور قوس قزح في السماء حدث أول مرة فى الطبيعة كعلامة للطوفان العظيم في هذا العصر... عصر جمدة نصر... شاهد عزام العلامة في السماء .. وما أن رآها حتى التفت أسفل التل من الناحية الأخرى ليرى ما أكد معلوماته..عدد كبير من الحيوانات..جميع الأنواع..الأسود والنمور.. الزرافات والقرود..النعام والكلاب..حيوانات عديدة تجرى ، وكأنها سرب من الأغنام في اتجاه واحد.

ثم اختفوا عن نظره..علم وقتها أن نبي الله نوح بنى سفينته في هذا الاتجاه..علم أن وقت الطوفان قد حان..جرى عزام ناحية الجميع أسفل التل المجتمعين حول طائرة خشبية يحاول قلقاس تدوير ماتورها في ترقب شديد.

جرى عزام ناحيتهم صارخاً:

العلامة.... العلامة... العلامة.

وصل عزام إليهم ،ووقف مثلهم مراقبًا لقلقاس في ترقب .. لم ينتبهوا له.. الجميع مترقب .. آذانهم صمت لا ترغب فى الاستماع لأى صوت سوى صوت الماتور المتوقف عليه حياتهم جميعًا. استمعوا لصوت دوران الموتور ،وخرج لهم قلقاس في ثقة.

- أنا خلصت وجاهز.

احتضن الجميع بعضهم البعض في فرحة شديدة ،..كمن ردت روحه في جسده ..الآن أعلن لهم قلقاس أنه جاهز لإعادتهم إلى زمنهم... يالها من تجربة قاسية... لكنها كانت

ممتعة... سوف يتحاكون بها طوال حياتهم ، أخرج فؤاد الكاميرا ،وصور الجميع وأمسكت لبنى الميك:

- العالم إبراهيم قلقاس.. صنع أول طائرة في التاريخ.

وقف قلقاس بجوراها في ثقة وفخر قائلاً:

- وبهذه الطائرة أصبحت أول من حاول الطيران في التاريخ متعديًا بذلك محاولة عباس بن فرناس بقرون طويلة.

هلل الجميع فرحين ، أوقفهم آدم فجأة:

- بس.

نظروا إليه... نادى آدم هاتفًا ، وهو يشير على عمه:

- قلقاس بن فرناس.

ردد الجميع وراءه:

- قلقاس بن فرناس.

- قلقاس بن فرناس.

- قلقاس ..... قلقاس... فرناس .... فرناس.

- قالها وكأنها منغمة ، ورقصوا جميعًا معه فرحين.

- صرخ فيهم عزام ناظرًا حوله في قلق:

- الطوفان... الطوفان.... الطوفاااان.

- صمتوا..تحولت ملامحهم من الفرحة إلى الرعب .. نظروا لبعضهم البعض .

نطق عيسى :

- لله الأمر من قبل ، ومن بعد.

صرخ فيهم زكي العوامري:

obeikandl.com

- يلا مستنيين أيه ؟ اركبوا.

جرى الجميع على الطائرة وركبوا فيها ، بينما جلس آدم وفهمي وقلقاس في المقدمة.. بدأت الأمطار تنهمر من السماء بقوة ، وبدى القلق والرعب على وجوههم جميعًا ، تمم قلقاس عليهم:

- كله لابس الأونسيالات في الإيد الشمال.

تأكدوا جميعًا بسرعة من ذلك.

نظر عزام خارج الطائرة.. مياه كثيفة تقترب من ناحية البحيرة.. مياه كالفيضانات طولها ٤٠ مترًا.. جحظت عيني عزام هامسًا:

- الطوفان.

أخذ عزام الكاميرا من فؤاد ، وبدأ يصور وسط رعب الجميع.

صرخ زكي في قلقاس:

- يلا مستني أيه ؟ يلاااا.

- لله الأمر من قبل ومن بعد . قالها عيسى وكأنه ينطق الشهادتين.

صرخ آدم في قلقاس:

- يلا يا عمي يلاااا.

صرخوا جميعًا:

- يلا يا أستاذ قلقاس.. يلاااا.

اقتربت المياه أكثر .. ارتبك قلقاس وضغط على الجهاز الموصل بالطائرة.. انفتحت دوامة بجوار الطائرة ، التهمت الطائرة كالمغناطيس الذي يجذب قطع الحديد الصغيرة ، انهمرت المياه تمامًا .. بينما دخلت الطائرة في دوامات سوداء اللون ، والجميع مترقب ،

obeikandl.com

والحيرة على وجه قلقاس تكاد صوته الداخلي محدثًا نفسه:

- كان المفروض تطير الأول يا أغبياء قبل ما أدوس.

أدرك قلقاس حينها أن هناك شيء ما سيحدث خارج الحسبان. نظر لهم جميعًا ، وهم فرحين مبتسمين وممتنين له ، فهمس لنفسه:

- أغبياء.

obeikandl.com

حفل ليالي سدوم

استقرت الطائرة الخشبية بعد رحلة شاقة عبر البؤرة الزمنية .. استقرت بعد أن اعتصرت قلوبهم من الخوف والقلق..استقرت في منطقه جبلية ،هبط الجميع منها مستكشفين ، هذا المكان الجبلي ، صخور جبلية صلبة واقعة بين جبلين شاهقي الارتفاع ، القمر في السماء يرسل ضيائه في كل مكان ، نظروا لبعضهم البعض.. استمعوا إلى صوت موسيقى أجنبية عالية راقصة تأتي عن قرب ، رأوا الأضواء تتلاعب في مكان بالقرب منهم ، اشتموا رائحة النسيم السا حر ، حينها احتضنوا بعضهم البعض في فرح.

صرخ آدم فرحًا:

- أيوة كده وصلنا العمار.

وبثقة المؤمن في فرج الله قال عيسى :

- الحمد لله على كل شيء.. الحمد لله.

ابتسم عزام بعد هذه التجربة المثيرة قائلًا :

- رحلة سعيدة يا جماعة.

تساءل فهمي ناظرًا حوله في فضول :

obeikandl.com

- بس احنا فين هنا ؟

تراقص حميد ومجموعة الشباب السيس على أنغام الموسيقى.. اهتز كل جزء من أجسا دهم على حدة.. كانت الموسيقي إيقاعية راقصة للغاية.

نظر لهم منير بقرف:

- ما تنشف يلا أنت وهو.

تعالى صوت عيسى بالاستغفار:

- أعوذ بالله من غضب الله ، استعفر الله العظيم.

لم يستمع حميد ، وأصدقائه لهما واستمرا في الرقص الفج.

كانت المنطقة كلها ذات طابع صخري من تلك الصخور البنية اللون ومليئة بالجبال على مدى البصر.

أفتكر كده احنا في الساحل.

قالها فهمي وهو يفكر ، فأجابه آدم:

لأ.. مش الساحل طالما فيه جبال يبقى يأما في العينة السخنة أو الغردقة.

قفزت لبنى في فرح :

- المهم أننا رجعنا.

اقترب منير من الرئيس ،وبود مصطنع.

- حمد الله على السلامة يا سيادة الرئيس.

واقترب فخري أيضًا في خبث واضح من الرئيس قائلًا :

- حمد الله على السلامة يا ريس.

كان فخري يظهر دا ئمًا عكس ما يبطن.. من يراه يعتقد أنه يحب زكي العوامري ،ولا يمكن أن يتوقع أنه كان يخطط لقتله.

نظر زكي لقلقاس شذرًا :

- حسابك معايا عسير يا قلقاس.

حاول قلقاس اكتساب عطف زكي مرة أخرى دون جدوى.

- ياريس.. متزعلش منى يا ريس .. أرجوك .

لكن زكي قاطعه بحدة:

- حنشوف.

نظر زكي لأحد البودي جارد ،وأعطاه أمر واجب التنفيذ.

- شوف يا بني عربية توصلنا.

جاوبه البودي جارد بعد أن نظر حوله.

- عربية منين يا فندم .

جاوب بتلك الطريقة التي يتحدث بها عسكري الأمن المركزي.

أشار أدم ناحية مصدر الموسيقى ،والأضواء المتلألأة:

- أكيد الناس اللي في الحفلة دى راكنين عربياتهم قريب من هنا.

سارع عيسى بالنصيحة :

- طيب يا ا خونا ما ندخل نسألهم... ميجراش حاجة المؤمن لازم يساعد أخوه المؤمن برضه.

تحرك آدم في اتجاه مصدر الصوت مشاورًا لفهمي:

- طب تعالى معايا يا فهمي.

نادى حميد على آدم ،وهو يرقص:

- استنى يا آدم... هاجي معاك أشوف الحفلة دي.

حادثه آدم بحدة :

obeikandl.com

- ما تهمد يلا.

رفض حميد وصية آدم عليه ،وعلى تصرفاته:

- ملكش دعوة بيا .. هاجي معاك.. هو أنت أبويا ،ولا أنت أخويا.

همس فهمي لآدم:

- ياعم سيبه.. خلينا نخلص.

نادى عيسى على آدم:

- وأنا عايز أروح دورة المياه أحسن محصور أوي.

انضم لهم عزام قائلًا :

- وأنا كمان استنى يا آدم.

نظر آدم إلى الباقون :

- طيب خليكم هنا ما تتحركوش علشان ما نتوهش من بعض. ، بعد إذنك يا ريس.

أشار له الرئيس بالانصراف ،ونظر إلى قلقاس نظرة مليئة بالانتقام ، مما يبدو أن زكي العوامري قد نوى لقلقاس في داخله على ما لا يحمد عقباه.. وعلى الرغم من نجاح اختراعه ونقلهم بالفعل إلى زمن آخر لم يخطر لهم على بال إلا أن حسابه سيكون عسيرًا..لا بد أن يفكر في طريقة يقلل بها من غضب الرئيس.. ما زال يحتاج قلقاس لدعم الدوله لاستكمال اختراعه ، لكن ماذا يفعل تجاه ذلك ؟ماذا يفعل حتى يبدأ صفحة جديدة معه بدون تلك النظرات الغادرة التى يلقيها عليه زكي العوامري ، كالسهام المسمومة من حين لآخر ، فقد أوشك أن يؤدي بحياتهم جميعا لولا عناية الله.

التف فخري ورجاله حول الرئيس ،وانضم لهم منير بيه. وقفوا جميعًا في كتلة واحدة ..أنها الكفة الرابحة دائمًا..أنها المسيطرة على كل الأمور أغلب الوقت..أنها السلطة.. قبلتهم جميعًا.

obeikandl.com

جلس الباقون في انتظار الأخبار من آدم عن مكان الطريق ليرحلوا بعدها كل إلى بيته اقترب آدم وفهمي ، ومعهما عيسى وعزام وحميد وأصدقائه الراقصون على موسيقى هذا الاحتفال ، إنه احتفال ضخم ملىء بالرجال والأنوار تتلاعب في كل مكان ، موسيقى صاخبة..الجميع يتراقصون..الغريب أن الرجال عددهم كبير جدًا ولا يوجد نساء ، والأغرب أن جميعهم يرتدون جلاليب وجميعها ضيقة ومفتوحة الصدر إلى السرة..يبدو أنها حفلة تنكرية..جلابية بارتى..هكذا يطلقون عليها في الأوساط الراقية..أدرك آدم ذلك.. لكن لماذا اختفت النساء من هذا الاحتفال ؟.. هؤلاء الرجال مظهرهم يبعث الريبة في النفس..يبدو ذلك واضحًا ، لا ترى في أي منهم شعر للصدر ، إنهم غير مشعرين تمامًا.. الجلاليب ذات ألوان زاهية كالأحمر والسماوي ،والأصفر يتماليون بشكل منفر كأنهم نساء ، استغرب آدم من مظهرهم ،وبدأ الشك يدخل إلى قلبه عن مكان تواجدهم الآن.

جحظت عيني آدم عندما رأى رجل يتراقص وسط حلقة من الرجال تحيط به ،ويتخلى عن ملابسه قطعة قطعة ، وكأنه عارض استربتيز كالذي نشاهده في الأفلام الأمريكية ، لم يتمالك آدم نفسه حين رأى رجلًا آخرًا يتراقص ،ويصب عليه رجل غيره من زجاجة خشبية في يده سائل يبدو أنه خمر.

تساءل فهمي هامسًا :

- أيه دا لامؤاخذة.. هو احنا فين ؟

سيطر الذهول عليهم ؛حيث ظهر بجوارهم رجل يمسك مايك ،ويتحدث أمام كاميرا كبيرة مصنوعة من الخشب.

- حفل ليالي سدوم..الليلة ال ١٢.

حاول آدم أن يفهم بينما تزايد حميد ،وأصدقائه في الرقص هو وأصدقائه غير مباليين بأي شيء ، نظر عزام حوله لعله يعرف أين هم ؟ لا فتات ضخمة معلقة في كل مكان(حفل ليالي سدوم) (سدوم دي جي)(مسرح سدوم) (مرحبًا يا أهل عامورة) (سدوم للسياحة

ترحب بكم)، برقت عيني عزام ،ويبدو أنه تعرف على المكان ، سأل آدم رجل يتراقص بجواره:

- هو أحنا فين هنا يا أخ ؟

جاوبه الرجل المتراقص:

- في سدوم.

تعالى آدم بصوته لفهمي ؛ حتى يسمعه فالموسيقى صاخبة جدًا.

- يعني ايه دي ؟

جاوبه فهمي والحيرة على وجهه.

--تكونش قرية جديدة في الساحل.

تبعه آدم:

-- يابني جبال أيه اللي في الساحل ؟ شوية تفكير.. شغل مخك بقه.

سأل آدم الرجل المتراقص مرة أخرى.

- هي فين سدوم دي يا أخ ؟

جاوبه الرجل بتلقائية :

- جنب عامورة.

قالها آدم لفهمي ،وكأنه يخبره بالمكان:

- جنب عامورة.

جاوبه فهمي ،وكأنه يعرف المكان بالفعل:

- آه إذا كان كده معلش.

نظر آدم حوله :

-- أنا قلبي مش مطمن بصراحة.

تراقص حميد وأصداقائه:

- أنا مرتاح هنا أوي.

قالها في فرح شديد ، وهو يتمايل بشكل فج ، نظر آدم لعزام..نظروا له جميعًا...جميعهم يعرفون أن عزام هو مصدر المعلومات.. بالطبع يعرف أين هم؟ نظر لهم عزام بعد أن تحسس نظارته.

- احنا في البحر الميت ، دي قرية سدوم ،وجنبها قرية عامورة.

نظروا إلى بعضهم البعض غير فاهمين ، تحسس عزام نظارته مرة أخرى قائلًا:

- ودي قرى قوم لوط.

صرخ الجميع مذهولين:

- قوم لووووووووط !!

صرخ حميد وأصدقائه مهللين فرحين ،واندمجوا في الرقص وتاهوا وسط باقي الرجال.

تعالى صوت عيسى غاضبًا:

- أعوذ بالله من غضب الله.

لطم فهمي على وجهه:

- وقعنا.

ابتسم آدم ساخرًا:

- بلح.

اقترب الرجل الممسك بالميك مرة أخرى بالقرب منهم ،وتحدث بتلك الطريقة التي يتحدث بها مذيعي التلفزيون الناقلين لحفل ليالي أضواء المدينة:

حفل ليالي سدوم .. الليلة ٢١.. يُحي الحفل.. نجم سدوم.. النجم الذي طال انتظاره النجم معشوق الرجال ، توجه حينها عزام ناحية المذيع وسط ذهول آدم :

obeikandl.com

- هيعمل أيه المجنون ده ؟

اختطف منه الميك ،وتحدث فيه:

- اللي بتعملوه ده عمليًا بينقص المادة البيضا اللي في المخ ، حيجلكوا زهايمر.. حيجلكوا زهايمر.

كررها مرارًا وتكرارًا ولا أحد يبالي ،واستمروا في رقصهم الفاجر ، اختطف عيسى الميك من عزام وصرخ فيه:

- أعوذ بالله من غضب الله. أعوذ بالله من غضب الله.. أعوذ بالله من غضب الله.

توقفت الموسيقى فجأة ،وجلجل صوت عيسى عاليًا ، نظر الرجال ناحيته وناحيتهم شذرًا ، أصاب الرعب آدم وفهمي في وقت واحد ، ونطقا بصوت هامس:

- وقعنا!!!!!!

***

نظر زكي العوامري ناحية الأنوار المتلاعبة بعد توقف الموسيقى متسائلًا :

- هي المزيكا وقفت ليه ؟

جاوبه فخري بتلقائية:

- يمكن أذان العشاء بارك الله فيهم.

اقترب قلقاس من زكي محاولًا استدرار عطفه ،وكسب رضاه مرة أخرى.

- أنا مش عاوزك تزعل منى يا ريس.

قاطعه الرئيس بحدة:

- هنتكلم بعدين يا قلقاس..بعدين.

نفخت فهدة في يديها لعلها تشعر ببعض الدفء.

- الدنيا هنا ساقعة أوي.

جاوبتها لبنى بتلقائية:

- هي العين السخنة كده بتبقى ساقعة بالليل.

فجاة ظهر آدم وفهمي وعيسى وعزام يجرون ناحيتهم بأقصى سرعة صارخون فيهم :

- أجروووا

نظر زكي بسرعة خاطفة ؛ فوجد عدد كبير من الرجال يجرون ورائهم فجروا جميعًا بأقصى سرعة لهم ، اختطف عزام الكاميرا من فؤاد ،واستدار ليجري بظهره ويصور ، صرخ آدم فيه وهو يجري:

- بتنيل أيييييه ؟

- بصورهم .

قالها عزام بتلقائية.

صرخ فيه آدم بقوة :

- هوه دا وقت تصووويير.

زادوا جميعًا من سرعتهم مرعوبين ، والرجال يجرون ورائهم مهللين.

صرخ الرئيس:

- هو فيه ايه ؟ ومين دول ؟

جاوبه آدم وعيسى وعزام وفهمي في آن واحد صارخين:

- دول قوم لووووط.

نظر الرئيس ناحية قلقاس الذي يجري بالقرب منه :

- ليلتك طين يا قلقاس الكلب.

جاوبه قلقاس محاولًا التبرير:

- معلش يا ريس كان لازم نطير الأول قبل ما أدوس.

obeikandi.com

صرخ عيسى :

- أعوذ بالله من غضب الله.

صرخ آدم في عمه:

- دوس على الجهاز يا عمي.

جاوبه قلقاس:

- مقدرش لازم نرجع الطيارة .. لازم نطيير الأول قبل ما أدوس.

زاد آدم في صراخه:

- لو مسكونا هتزعل .. دوس يا عمممي.

صرخ عيسى :

- أعوذ بالله من غضب الله ، دووس يا سيد قلقاس.

صرخ الجميع واحد تلو الآخر:

- دووووس يا قلقاس.

صرخوا في آن واحد مرعوبين:

- دوووووووس .

لم يجد قلقاس فرصة لشرح خطورة ذلك لهم ؛ فأخرج الجهاز من جيبه وضغط عليه ... انفتحت بوابة من الدوامات ؛ فقفزوا بها جميعًا وكأنها تلقفتهم.

obeikandi.com

يوم دامي

قاعة واسعة داكنة الجدران .. ازدحمت بأصناف مختلفة من الناس.. فوجيء آدم ورفاقه بتواجدهم وسطهم ، نظر آدم إلى قلقاس.. أدرك آدم أنهم نقلوا إلى زمن آخر ، هذا أمر مؤكد ، ولكن أين هم؟ نظر حوله ... نظروا جميعًا حولهم ، القاعة مليئة بالناس ، يصفقون بشد ، لافتات معلقة في كل مكان في القاعة مكتوبة بلغة لم يفهموها ، لكن آدم يعرفها جيدًا أنها اللغة الألمانية.. نظر آدم إلى فهمي هامسًا:

- أحنا في ألمانيا.

شاور له فهمي بالإيجاب ؛فهو أيضا درس العديد من اللغات تبعًا لعملهم ، جحظت عيني آدم حين نظر إلى هذا الرجل الواقف على المنصة ، ذلك الرجل الذي يخطب بهم في حماس وهم يصفقون له بحرارة من آن لآخر... جحظت عيناه حينما أدرك أن هذا الرجل هو.. هتلر.

كانت القاعة ممتلئة بالكراسي الجلدية السميكة المتراصة بجوار بعضها لبعض ، كانت القاعة حوائطها داكنة اللون تبعث في النفس الاختناق ، سألهم منير هامسًا:

- بيقولهم ايه الراجل ده ؟

obeikandi.com

استمع آدم إلى خطاب هتلر ،واستطاع أن يترجمه لهم هامسًا:

- كيف لي أن أبيد ٦ ملايين يهودي ،وكل الإحصاءات تقول إن عدد يهود أوروبا ٦ ملايين ونصف ، وهذا معناه أني أبدتهم بالكامل ؟

قالها هتلر في حماس بعد تصفيق حاد من الجميع.

نظروا لبعضهم البعض ، همس لهم آدم:

- أظن مش محتاج أسأل احنا فين ؟ وطبعًاعارفين دا مين ؟

تابعه زكي هامسًا:

- منك لله يا قلقاس الكلب.

رفع عيسى يده إلى السماء داعيًا:

- لله الأمر من قبل ، ومن بعد.

ابتلع منير ريقه ناظرًا ناحية هتلر:

- هو هتلر.. يا ليلة غبره.

- وقعنا .

قالها فهمي وآدم هامسان ، لاحظ آدم ذلك الرجل الواقف بالقرب منهم..لم يصدق عينيه.. أنه نفس الرجل المتراقص الذي سأله في الاحتفال عن مكان وجودهم ، نفس الرجل المتراقص الذي أخبرهم أنهم في سدوم الواقعة بجوار عامورة ، كتم آدم ضحكته ، وشاور لفهمي :

- بص بص بص.

رآه فهمي ،وشارك آدم ضحكته المكتومة :

- الله دا وقع.

تخيل الاثنان ماذا يمكن أن يحدث لرجل من قوم لوط في هذا الزمن ؟ يبدو أنه مر بالخطأ

obeikandl.com

معهم في الدوامة الزمنية ، نظر الرجل حوله مقتربًا من هتلر المصفق له كل من بالقاعة ..هتف هتلر عاليًا مع تعالي صيحات الجميع:

- ألمانيا فوق الجميع.

- ألمانيا فوق الجميع.

اقترب الرجل منه أكثر وأكثر ،بينما حاول آدم ومجموعته التسلل خارج القاعة هاربين دون أن يلحظوا تواجدهم ، صمت هتلر حين رأى هذا الرجل عن قرب .. ارتاب فيه صمت كل من بالقاعة مترقبين.. لاحظ هتلر آدم ورفاقه عند باب القاعة.. كان من السهل عليه أن يعرف أنهم غرباء.. ملابسهم المهلهلة توحى بذلك.. صرخ فيهم بالألمانية :

- من هذا ؟ من هؤلاء ؟

وقفوا عند الباب داعين أن تنشق الأرض ، وتبلعهم.

همس آدم وفهمي في آن واحد:

- الله يخرب بيتك.. وقعنا.

- لله الأمر من قبل ومن بعد .

همس بها عيسى مرعوبًا.

صرخ هتلر بعصبية مشاورًا عليهم:

- أتجرأون أن تأتوا إلى هنا ؟ أمسكوا بهم.

قالها لمجموعة من الجنود المتواجدين في آخر القاعة ؛ فاقتربوا بأسلحتهم بسرعة خاطفة.

همس عزام مرعوبًا:

- هو قالهم أيه ؟

استكمل هتلر :

- إنهم يهود جواسيس .. أمسكوا بهم.

صرخ آدم مرعوبًا:

- مش وقت سؤال أجروووواا.

جروا جميعًا خارج القاعة مع ازدياد الهرج والمرج داخلها كل منهم يجرى على آخر طاقته ، والرعب والفزع يكاد يقفز من عيونهم. ليجرى معهم .. لا ينظرون ورائهم.. أذانهم لا تسمع سوى طلقات الرصاص المتوالية التي قد تصيب أحدهم ليسقط ميتًا لا محالة.

ساحة كبيرة خارج القاعة حوالي كيلو متر من الأشجار.. جروا وسطها محاولين إدراك الباب الخارجي ؛ ليتمكنوا تمامًا من الهرب ، طاردتهم طلقات الرصاص ؛ فأصيبوا واحدًا تلو الآخر ، ووقع بعضهم على الأرض وسط بركة من الدماء ، توقف عزام ناظرًا خلفه ليرى فؤاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فجرى إليه وأمسك منه الكاميرا وعلقها في رقبته. كاد أن يصاب هو الآخر إلا أن قلقاس سحبه من يده ، وجريا سويًا وسط الرصاص الكثيف.

وصل آدم وعيسى وفهمي وفهدة وعزام وقلقاس للباب الخارجي بينما مات الآخرون..مات زكي العوامري هو والبودي جارد التابعين له واحدًا تلو الآخر..لم يحموه من ملك الموت.. مات فخري ورجاله.. لم تنفعه تدابيره ،وخططه في النجاة هذه المرة... مات منير بيه.. لم ينفعه ماله.. ماتت لبنى لم ينفعها جمالها أو صغر سنها أمام الموت..حصد الموت أرواحهم في آن واحد.

وصل الباقون إلى سيارة بداخلها صاحبها ، فضربه آدم بيده فوقع خارج السيارة..ركبوا جميعًا السيارة وسط إطلاق نيران كثيف ، ياله من يوم دامٍ ، أدار آدم محرك السيارة ، وانطلق بها والموت يتراقص أمام أعينهم جميعًا ... وجوههم شاحبة تمامًا من الرعب.

استمر إطلاق النيران خلفهم بلا توقف .. استمر بنفس الكثافة مصرًا على حصد أرواحهم وكأنه أقسم على ذلك ، طاردت سيارة مليئة بالجنود الألمان السيارة التي يقودها آدم مطاردة عنيفة.

أدار عزام الكاميرا ؛ ليصور ما يحدث ، أظهر آدم براعته في القيادة والمراوغة على الأرض من شارع إلى شارع ؛ حتى استطاع الهروب منهم ونجوا بحياتهم ، توقف آدم بالسيارة في ساحة واسعة مليئة بالأشجار ،وعلى حوافها البيوت الألمانية القديمة من دور أو دورين على الأكثر ، توقف بالسيارة ،وساد الصمت عليهم جميعًا. يكاد الحزن والرعب يقتلهما. تشم رائحة الدماء في كل مكان من حولهم ، نطق آدم بعد لحظات ،وعينيه مرغرغة بالدموع:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

تبعه عيسى بإيمان الواثق في الله:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

سيطر الصمت على قلقاس ، هبط آدم من السيارة وهو يبكي..نظر حوله..صعق حين رأى الجثث الملقاة على جانبي الساحة في كل مكان ، وكانها أكياس للقمامة ، صعق حين رأى المارة ، وهم يتعايشون مع هذه الجثث بطبيعية مقززة ، يضحكون..يتهامسون.. يتجولون ، وكأن الجثث الملقاة ورود في حديقة يتنزهون فيها ، جحظت عيناه عندما رأى شاب ألماني يقبل فتاة قبلة طويلة على إحدى الأشجار ،والجثث متناثرة من حولهما في كل مكان ، استمع آدم إلى تلك الطبلة التي سمعها من قبل..طبلة القرداتي.. شاهد رجل يخبط على طبلته بنغمة القرداتي ،ومعه قرد صغير يتراقص على خبطاته .. نفس النغمة ولكن يغنيها بالألماني:

الليل الليل ..ال يا ميمون.

تراقص القرد وسط الجثث ،وكأنه اعتاد على ذلك..اجتمع حوله المارة يصفقون له ، وقفت كاميرات التليفزيون الألماني تصوره متجاهلة الجثث المتناثرة هنا وهناك ، ابتسم المذيع الممسك بالميك متحدثًا بالألمانية:

- حالة من الفرحة تعم شوارع ألمانيا ، كما نرى اليوم.

وقف آدم مع الواقفين حول القرد مستغربًا.

سأله المذيع فرحًا:

- ومعنا أحد المواطنين.. نتعرف بيك ؟

ارتبك آدم .. لو اكتشفوا أمره هذه المرة سيموت في الحال.. استغل آدم معرفته بالألمانية ، وأجاب:

- أدميو... أدميو.

سأله المذيع:

- ما رأيك في هذا العرض الساخر ؟

ضحك آدم بتكلف واضح :

- جميل ... جميل... جميل.

وصفق للقرد على النغمة المعتادة ، وغنى مع القرداتي محاولًا إثبات أنه مواطن ألماني أبًاعن جد.

الليل الليل.. ال يا ميمون.

***

وقف فهمي بجوار السيارة حزينًا ، بينما وقف الباقون بجواره صامتين ، سأل فهمي حائرًا:

- وبعدين ؟

جاوبه قلقاس:

- مش عارف.. سيبوني أفكر.

هجم فهمي على قلقاس بحدة:

- نسيبك لحد ما تموتنا كلنا.

opeikandl.com

انهارت فهدة باكية:

- مش كفاية اللي ماتوا.

لله الأمر من قبل ، ومن بعد ، قالها عيسى في حزن ، انضم لهم آدم حزينًا ،ونظر له قلقاس مدافعًا عن نفسه :

- دول شهداء .. شهداء للعلم.

نظر له آدم بقرف :

- أنت مصدق نفسك ؟

- أيوا شهدا.

قالها عزام مدافعًا عن قلقاس.

صرخ آدم فيهما:

- كفاية بقى .. كفاية.. ريحة الموت فايحة منكم..بيعتنا للموت كام مرة ؟ دمرتنا ،ودمرت حياتنا كلنا ، كان آدم قاسيًاعلى قلقاس ، ولكنه لم يكن يتصور أن يرى الموت بعينيه أكثر من مرة بسبب عمه ، نظر آدم للجهاز الممسك به قلقاس في يده ،واقترب منه صارخًا فيه:

- هات الجهاز ده.

أمسك قلقاس يده بقوة:

- لا لا لا لا .. مش هنستخدمه تاني من غير طيارة..مش هنضمن هنروح فين ، أمسك آدم الجهاز من يده بقوة ، وحاول جذبه منه:

- بقولك هات الجهاز.

صرخ فيه الجميع:

- أديله الجهاز.

اختطف آدم الجهاز مقررًا عد م الاعتماد على عمه مرة أخرى ، قرر أن يخوض التجربة

obeikandi.com

بنفسه ، ويتحمل نتائجها ، نظر لهم:

- الجهاز دا حيفضل معايا أنا..من النهاردة مفيش قلقاس.. أنا قلقاس.. أنا قلقاس.

نظر إلى الجهاز بتردد ، ووضع أصبعه على زر KO

obeikandl.com

آدم بن فرناس

كتم آدم انفاسه ، لم يكن من السهل عليه أن يكون المسئول عن رجوعهم ، اختطف أدم الجهاز من قلقاس ،وكل ما يدور بخلده ماذا سيحدث إذا فشل ؟ربما ينسون جميعًا ما فعله قلقاس ، ويعتبرونه هو السبب في ضياعهم ، ربما يعلقون دماء من ماتوا في رقبته ، ربما تركوه وحيدا في أحد الأزمنة ، واختطفوا منه الجهاز كما فعل هو مع عمه ، وعلى الرغم من كل هذا.. أصر آدم على على خوض التجربة.. ارتعشت يده ، وهو يضغط على زر OK في الجهاز .

نبض قلبه بسرعة كبيرة..تكاد تستمع لصوت ضربات قلبه ، وتميزها بسهولة ، تسارعت أنفاسه وهو يقف أمام الكعبة الشريفة. يبدو أنه نقلهم إلى زمن الجاهلية ، نظر حوله.. أصنام كبيرة في كل مكان حول الكعبة.. أناس بزي العرب القديم يمشون ذهابًا وإيابًا. كثير منهم يسجدون للأصنام ، ويقدمون لهم القرابين. .تذكر آدم ذلك المشهد في السوق.. سوق جمدة نصر... نفس الموقف .. أناس يسجدون لأصنام من الحجارة ، نفس الشكل والمضمون مع اختلاف الزمن واختلاف الأحجام ، تتابعت أنفاسه ، وهو يرى مظاهرة من بعض المتواجدين حول الكعبة يهتفون بحماس كبير أثناء طوافهم بالكعبة:

- كلنا بنحبه..أبا الحكم.

obeikandl.com

نحبه نحبه.. أبا الحكم.

حبيب الكل.. أبا الحكم.

كبير الكل.. أبا الحكم.

أب الكل.. أبا الحكم.

سحقًا لهذا الهتاف المستمر والمتوارث عبر الأزمنة والأجيال ، نظروا جميعًا لعزام ، تحسس عزام نظارته قائلًا في هدوء:

- أبا الحكم ..عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر.. الشهير بأبي جهل ، صرخ عيسى عاليًا:

- أعوذ بالله من غضب الله.

كان عزام مرجعهم جميعًا... كانوا يعلمون أنه المفتاح الرئيسي لمعرفة أي شيء ..قاموسهم المتحرك معهم.

نظر آدم لهم وضغط مرة أخرى على الزر ... محاولًا مرة آخرى لعله يجد المخرج من تلك الأزمة.

***

تعالت أنفاس آدم أكثر وأكثر وتعالى صوت ضربات قلبه أكثر وأكثر ، وقفوا جميعًا في صحراء كحلاء.. الشمس حارقة من أعلى تكاد تعمي أبصارهم.. استمعوا إلى صوت صهيل الخيول عاليًا.. حاولوا الرؤية ، والنظر حولهم فلم يستطيعوا من قوة شعاع الشمس.

ظهر لهم فجأة رجل ممسك بسيف يرفعه عاليًا مرتديًا زي المحاربين القدامى من جلود الحيوانات ،وخوذة سوداء على رأسه..رفع سيفه إلى أعلى وكأنه سيشقهم نصفين... صرخوا عاليًا.

أدار عزام الكاميرا المعلقة في رقبته ليصور وهو يصرخ مثلهم.. تسارع آدم الضغط على الزر مرة ثالثة قبل أن يصل السيف إليهم ؛ فاختفوا تمامًا ونجوا من الموت للمرة الرابعة.

تحول الأمر بالنسبة لآدم إلى تحدي..نعم أنه يرغب وبقوة العودة إلى زمنه... هذا حقه.. لا أحد يستطيع أن ينكر عليه ذلك .. سحقًا لهذا الجهاز الصغير الذي يتلاعب بهم.. مجرد زر صغير يتحكم في ستة أشخاص ومصائرهم .. زر صغير أنهى حياة أكثر من عشرة أشخاص.

وقف آدم على جبل عالٍ من الصخور البنية الكبيرة... شعروا باهتزازات ضخمة كالتي كانت في عصر جمدة نصر... أدرك آدم أنه عاد بهم لنفس الزمن أو ربما قبله بقرون.. استمعوا لصوت ضخم يبدو أنه لديناصور يقترب منهم..انشغل عزام بالتصوير بينما نظر لهم آدم بتحدي وضغط مرة أخرى على الزر. ضغط وهو متشبث بالأمل في النجاة.

***

ابتسم آدم عندما وجد نفسه جالس على كرسي في حفل كبير ، وبجواره الباقون.. حفل كبير للسيدة أم كلثوم..ها هي تغني وتشدو على المسرح وسط إنصات الجميع من الحضور المرتدين بدل وطرابيش على رءوسهم بينما تألقت السيدات بفساتينها السواريه اللامعه اللون.

همس قلقاس بفرح:

- يا سلام..خلينا هنا بقه..خلينا يا آدم.

قالها لآدم كالطفل الصغير المتشبث بدمية صغيرة يحبها ، ولاحقه عزام بنفس الحماس وهو يصور بالكاميرا:

أيوة تمام كده أوي خلينا هنا يا آدم.

همس فهمي لآدم محاولاً إقناعه:

- آدم لأ .. هنا ماينفعش... متسمعش كلامهم يا صاحبي.. دول بطرابيش يا عم الحج...

قالها ناظرًا إلى الجمهور باستهزاء ، وتابعته فهدة مؤكدة:

- متنساش نكسة ٦٧ .. مش حنعيشها تاني يا آدم.

تردد آدم قليلًا ،ثم ضغط على الزر مرة أخرى.

وقفوا في شارع واسع وسط مظاهرة من مجموعة رجال مرتدين طرابيش ،ووسطهم مجموعة من القسسيسين بزيهم المعروف الأسود اللون ،ويهتفون بحماس شديد:

- يحيا الهلال مع الصليب.

- يحيا الهلال مع الصليب.

ضحك فهمي مستهزءًا:

- حلاوة.

انشغل عزام بالتصوير ، بينما لطمت فهدة:

- يادي النيلة ١٩١٩.

خرج عيسى عن طريقته المعهودة قائلًا:

ماتظبط أيديك يا أخ آدم جزاك الله خير بقى يا أخي.

ابتسم قلقاس مستهزءًا بآدم ،وكأنه كان منتظرًا فشله.. ابتسم مثبتًا لنفسه وللجميع أنه العبقري الوحيد بينهم:

لازم طيارة..لاااااازم.

هاجمه عيسى قائلًا:

يا أخي بس سيبه يجرب...يالا يا اخ آدم الله يرضى عنك.

ضغط آدم على الزر ويبدو أنه اعتاد على ذلك فلم تعد تسمع صوت ضربات قلبه أو حتى أنفاسه العالية ؛ فأصبح أكثر هدوءًا.

برقت أعينهم جميعًا ،وهم يرون أشهى المأكولات واللحوم المشوية على مائدة مستطيلة موضوعة على الأرض في خيمة ضخمة فارغة من الناس ماعدا رجل ثري عربي جلس في منتصفها مرحبًا بهم:

- يا هلا ياهلا... تفضلوا معنا.

لم يتساءل أحدهم أين هم؟ لم ينظروا إلى عزام ... لم يخطر على بال أحدهم أي شيء سوى الاستمتاع بهذا الطعام.. أنهم لم يأكلوا سوى أوراق الشجر كل هذه المدة... نظروا إلى الطعام كالمحرومين وهمس فهمي:

أنا جعان أوي.

تبعه عيسى مبتلعًا ريقه:

- أيوة بطننا نشفت من أوراق الشجر بصراحة.

اقترحت فهدة عليهم ،وعينيها معلقة بالطعام كالمحرومة:

- أنا بقول نقعد نأكل.

أكد عزام ذلك واضعًا الكاميرا جانبًا :

- أنا بقول كده برضوا.

جلسوا جميعًا يأكلون بشراهة شديدة.. التهموا الطعام وكأنهم لن يأكلوا بعد اليوم ، التهموه بسرعة شديدة ،وكأنك تزيد سرعتهم إلى عشرة أضعاف على الأقل ، ابتسم لهم الرجل العربي حين انتهوا من الأكل تمامًا:

- يا هلا .. يا هلا.. يا هلا.. تحبوا تحبسوا بايش ؟

ابتسموا جميعًا للرجل مشاورين له بأن بطونهم قد امتلأت تمامًا.

obeikandl.com

- قولوا لي قولو لي ... هيا ... تودونها لدانة أم رجراجة أم رتكة أم عانق ؟

نظروا لبعضهم البعض غير فاهمين بينما همس قلقاس :

- نفسي في قهوة.

تحسس عزام نظارته قائلًا:

اللدانة: هي المرأة اللينة الناعمة. الرجراجة: هي المرأة الدقيقة الجلد يعني الرفيعة. الرتكة: هي المرأة الكثيرة اللحم الظلظة يعني. أما العاتق: فهي المرأة التي لم تتزوج.

تحسس نظارته مرة أخرى قائلًا:

ودي أسماء العرب أطلقوها على المرأة في الجاهلية.

حينها علا صوت عيسى غاضبًا:

- أعوذ بالله من غضب الله.

بينما ضحك فهمى هامسًا لآدم:

- هو العصر ده واخدنا توكيل ولا ايه ؟

نظرت فهدة بقرف إلى الرجل العربى ،وهمست لآدم:

- دوس يا آدم دووووس بلا قلة أدب ومسخرة.

سارع فهمى هامسًا لآدم:

- ما تخلينا نشوف الرجراجة دى.. حلوة الظلظة.

أحرج آدم من الرجل الذي أكرمهم ،وابتسم له قبل أن يضغط على الزر مرة أخرى.

- معلش أصل معانا واحدة عانق.

قالها آدم وضغط على الزر ؛فاختفوا تمامًا من أمامه.

obeikandl.com

صرخوا جميعًا فى آن واحد حينما وجدوا أنفسهم على المنصة الكبيرة لاحتفال قرية سدوم .. الاحتفال الكبير لقرى قوم لووووووط.. المتراقصين حولهم ، والمحاولين جذبهم من أعلى المنصة كهؤلاء المطربين الذين يجذبهم معجبينهم في الحفلات ، صرخوا حين أدركوا أنهم في هذا الزمان.

- تاااااانى.

سارع آدم بالضغط على الزر.

***

سأم آدم من هذه التجربة.. لعن داخله ذلك الاختراع اللعين..لعن عمه قلقاس ، لعن كل ما فرقه عن محبوبته رضوى.. تساءل عن حالها الآن بشغف..من المؤكد أنها تبكى ليلًا نهارًا معتقدة أنه فقد في قاع المحيط ،وأكلته أسماك القرش..أو أنها بدأت تنساه ،وتبحث عن شخص آخر تكمل معه حياتها ، هل يمكن أن تفعل رضوى ذلك ؟ لقد سمع كثيرًا أن المرآة تنسى سريعًا..كثير من الأمثله تثبت ذلك ، جارته منى تزوجت بعد موت زوجها بأقل من سنة ، وكذلك سوسن بنت خالته ،وغيرهما كثيرًا ، لكن رضوى غيرهن...بالطبع ستنتظره ، كادت الحيرة أن تقتله ، أفاق آدم على صوت فهمى :

- آدم..آدم...آدم.

نظر حوله ليجد نفسه في كابينه الطائرة ...امتزجت حينها أحاسيس كثيرة داخله ، شعر بالدهشة والصدمة الممتزجة بالفرحة والترقب...اول ما خطر على باله ان كل ما شاهده وعايشه في هذه الرحلة مجرد وهم ..هلاوس..تخيلات..أحداث من وحى خياله...وأنه ما زال في كابينة الطائرة في بداية الرحلة ..ابتسم وتنهد بعمق حين رآى قلقاس بجواره لكن دب الشك في نفسه حين لاحظ ملابسه الممزقة ، وكذلك ملابس قلقاس وفهمي ..سحقًا هل هذا مزج بين خياله والواقع ؟

كهذا الشخص الذي نهض مفزوعًا من حلم عميق جرحت فيها قدميه ؛ فوجد آثار الدماء تغرق سريره.

ما هذه الحيرة ؟ لم تكن الحيرة من نصيبه فقط ، بل سيطرت على فهمي وقلقاس ، فتح آدم فمه من هول الصدمة حين استمع إلى سارينة الإنذار تعلو.. حين رآى ذلك الجسم الغريب يظهرعلى شاشة الرادار .. حين انفتح باب الكابينة ، ودخل عيسى وعزام وفهدة مذهولين بملابسهم المهلهلة.

إنها نفس اللحظة السابقة ..لحظة التصادم اللعينة..انهم عادوا إلى زمانهم بالفعل ..لكن في أسوء لحظة يمكن تخيلها ..لحظة التصادم بالنيزك ..ما هذا الحظ العثر ، صرخوا جميعًا تجاه قلقاس بينما يقترب النيزك أكثر وأكثر وتعلو سارينة الإنذار:

- اعمل حاااااجة ..الطيارة اهسسي.

نظر لهم قلقاس مبتسمًا بلامبالاة..فهموا حينها أنه لا مفر..لا يستطيع فعل أى شيء لهم . ضغط آدم حينها على الزر سريعًا قبل أن يصطدموا بالنيزك مرة ثانية .

***

قُذفوا الستة على رمال الصحراء ،والشمس تغرب عنها آخذة الدفء الذي تبعثه بالقلوب ليحل محلها الليل بظلامه الدامس.

نظر آدم حوله.. ضغط على الزر..ليس هناك استجابة.. ضغط مرات ، ومرات ولا يحدث شيئًا ، اقتربوا منه ، وتسءلوا بترقب مذعورين:

- ايه ؟خير ؟فيه ايه ؟

جاوبهم آدم بقلق:

- الزرار باينله علق.

لطم فهمى وفهدة منهارين:

- ينهار أسود .. وقعنا.

بينما سلم عيسى أمره إلى الله.

- لله الأمر من قبل ومن بعد.

- لله الأمر من قبل ومن بعد.

- لله الأمر من قبل ومن بعد.

قضى الأمر.

ظل عزام صامتًا تمامًا ،ونظر إلى الكاميرا المعلقة في رقبته بحزن شديد بينما اختطف قلقاس الجهاز من يد آدم وحدثه بحدة مستهزئًا:

- شفت .. قولتلك ده.. عاوز عباقرة.. مش أى حد يستخدمه.

صرخ فيه آدم:

- بأمارة قوم لوط ها ؟

عانده قلقاس مستفزًا له:

- دى كانت طيارة خشب .. أنا عاوز طيارة حديثة.

لطمت فهدة صارخة:

--ما كانت قدامك..كانت قداااااامك.

صرخ فيه آدم بحدة:

- عمى ....أنت ....بلللح.

استنكر قلقاس هذه الطريقة التي يحدثه بها آدم .

- مسمحلكش يا آدم.

استهزأ به فهمى أكثر:

obeikandl.com

- والنبى تنقطنا بسكاتك بقه.

حينها نظر آدم في عينيه بحسرة:

- حسبى الله ونعم الوكيل فيك يا عمي.

- حسبى الله ونعم الوكيل فيك.

- واحنا في أنهى مصيبة دلوقتى ؟

قالتها فهدة متسائلة ، وناظرة حولها.

نظروا ناحية عزام كرد فعل تلقائى للسؤال تلمس بعدها نظارته وعلى وجهه الحيرة ..أدركوا وقتها أنهم مقبلون على الموت بجدارة..لقد تاهوا في الزمن..استمعوا إلى أصوات طبول قادمة عن بعد ، استمعوا لها جميعًا.. شاور آدم ناحية مصدر الصوت متسائلًا:

- سامعين ؟

تعالى صوت دقات قلوبهم مع تعالى صوت الطبول.

ترى أين هم؟ وما هم مقدمون عليه ؟ وفى أى زمن هم؟!

obeikandl.com

الفيل صديقى

تعالت أصوات الطبول بشكل إيقاعي.. تستمع إلى صداها يتردد وسط الجبال الرملية الشاسعة ، تسلل آدم ورفاقه دون أن يراهم أحد تتبعا لمصدر تلك الطبول ، استوقفهم ذلك المعسكر.. معسكر دائرى من الخيام بجوار أحد الجبال الرملية..لم يروا غيرهم على مدى البصر.. بالطبع سيكون هو مصدر هذه الطبول..اقتربوا أكثر من المعسكر ، استوقفتهم تلك الأفيال..المربوطة عند مدخل المعسكر..ما هذا العدد الكبير من الأفيال ؟ ، تفحص عزام المكان متلمسًا نظارته .. لعله يعرف أين هم أو في اى زمن الآن ؟ ، تلصصوا من أحد الجوانب على هذا المعسكر.. رآوا مجموعة من الراقصات ترقص على إيقاع هذه الطبول ببدل رقص تكاد تبدو عارية .. ابتسم فهمى حينها هامسًا:

- العب يا ملعب.

اختبأوا جيدًا خلف إحدى الخيام حتى لا ينكشف أمرهم ..دققوا النظر أكثر..تساءلوا عن ذلك الرجل الجالس في منتصف المعسكر على كرسي كبير..أنه الكرسى الوحيد في هذا المعسكر ، والباقون يجلسون أسفل قدميه يشربون ويأكلون ويضحكون.. من هذا الرجل البالغ من العمر أربعون عامًا تقريبا ؟

obeikandl.com

تتمايل عليهم الراقصات ، وأنظارهن معلقة به ، كان الرجل أسمر اللون قصير القامة مفتول العضلات أجعد الشعر .. يبدو أنه من علية القوم ؛ فمظهره يدل على ذلك ، سألهم آدم هامسًا:

- ايه دول بقه ؟

جاوبته فهدة بتلقائية:

- هيكون ايه يعنى.. أكيد جاهلية برضه.. التوكيل الرسمى.

رفع عيسى عينيه إلى السماء داعيًا:

- لله الأمر من قبل ، ومن بعد.

أمسك قلقاس رأسه معانيًا من قلة النيكوتين ؛فلم يشرب قهوته منذ بداية الرحلة:

- دماغى هتتفرتك عاوز قهوة يا ناس.

تساءل آدم بحيرة:

- ايه يا أستاذ عزام أفيدنا أفادك الله.

كان عزام حائرًا ؛ فلم يحدد بعد مكانهم أو زمانهم .

اشتمت فهدة ملابسها الممزقة المتسخة بقرف.

- اف..احنا ريحيتنا بقت وحشة أوى ..احنا لازم نغير الهدوم دى.

أكد آدم على كلامها:

- عندك حق .. عشان حتى ميكشفوناش كفايانا بهدلة لحد كده....هدنة بقه.

شاور لهم فهمى أن يمشوا خلفه بعدما لاحظ خيمة خالية في أحد الأركان البعيدة قليلًا عن ساحة الخيام.

- تعالوا ورايا.

وما أن دخلوا متسللين لداخل الخيمة بزيهم الممزق ؛حتى خرجوا منها بزى جديد يشبه زى العرب القديم ، كذلك الذى يرتدونه هؤلاء الرجال الجالسون تحت قدمى هذا الرجل الغامض على كرسيه ، بينما ارتدت فهدة ملابس إحدى الراقصات ؛ فبدت مثيرة للغاية ، داعبها فهمى بعينيه هامسًا:

- ليلتنا فل ولا حاجة ؟

نهرته فهدة بحدة:

- اتوكس.. احنا في ايه ولا في ايه ؟

فوجىء الجميع حينها بمجموعة من الجنود المرتدين تلك الصدور الجلدية يرفعون عليهم الرماح ، والسيوف والشر يتطاير من أعينهم ، ابتلع آدم وفهمى ريقهما ،وهمسوا جميعًا في رعب:

- وقعنا.

- لو فنجان قهوة قبل ما نموت يبقى تمام التمام .

قالها قلقاس الممسك برأسه مبتسمًا بسخرية ، اقتادهم الجنود بقسوة ، وكأنهم أسرى حرب لذلك الرجل الغامض على كرسيه ، وقفوا أمامه ، وهو ينظر إليهم متفرسًا بعدما توقفت الطبول ،وساد الصمت على الجميع مترقبين ، مرت أكثر من عشر دقائق والرجل لا ينطق..عينيه تتفرسهم ،والصمت التام يحلق فوق رءوسهم ، لم يقطع هذا الصمت المطبق سوى صوت أحد الأفيال .. تعالى بصوته .. نظر له آدم .. أحس أنه يناديه .. أحس بشعور غريب .. شعر أنه يخبره ألا ييئس..أدرك ذلك حين نظر إلى عينيه عن بعد .

كان آدم من محبين الأفيال. كان يعرف أن ذلك أمر عجيب فلم يصرح به لأحد. سوى لرضوى كان يزور حديقة الحيوانات كثيرًا معها ، كان دائم الجلوس أمام ذلك الفيل في حديقة حيوان الجيزة. الفيل لطفي كما كان يحب أن يناديه بذلك الاسم ، كم من المرات تحدث معه ..كم من المرات شكى له همه..كم من المرات التي شهد فيها على حبه

لرضوى.. تذكر تلك المرة التى أخبره فيها على تفاصيل لقائه الأول برضوى.. تذكر كيف استمع لصوته عاليًا حينها ، وكأنه يخبره بفرحته به.. لم ينسَ صوته .. أنه شبيه بصوت هذا الفيل الذي استمع له للتو .. .شعر آدم بالطمأنينة .

ابتسم آدم متفائلًا وهو يهمس:

- الفيل صديقي..لطفي.

حينها ظهر رجل آخر يأتى على حصانه.

هبط واتجه ناحية الرجل الغامض ،وانحنى له.

- مولاى إبرهة الحبشى.

- نعم.

- قريش ترتجف الآن يا مولاى..وهربوا جميعًا إلى الجبال خوفًا منك.

كانت هذه البشارة التي كان ينتظرها آدم ...الآن فهموا أين هم ؟ ويالبتهم ما فهموا.

ضحك إبرهة بقوة مرددًا:

- هربوا إلى الجبال.

شاركه ضحكاته كل المتواجدين وسط همسات آدم مرعوبًا:

- الله يخربيتك يا عمى ..الله يخربيتك.

حينها صرخ إبرهة فيهم بحدة فجأة ؛ فامتنع الباقون عن الضحك:

- من أنتم ؟ انطقوا ؟

برقت عينى عزام وابتسم.. تقدم خطوات للأمام مقتربًا من إبرهة ، وحادثه بتعالى بينما كادت الحيرة تقتل الباقون .

- أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف.

قرر عزام إنقاذهم .. دون أن يفهموا ما يرمى إليه .. من هذا الرجل الذي انتحل شخصيته ؟

تفاجأ إبرهة بذلك ... وقف في مكانه ،واقترب من عزام وتغيرت نبرة صوته إلى الاحترام الشديد وسط ترقب الباقون.

- أنت عبد المطلب سيد قريش ؟

جاوبه عزام هازًا رأسه فخورًا بنفسه :

- نعم.

انتحل عزام شخصية عبد المطلب سيد قريش ؛ حتى ينقذهم من بين يدي إبرهة .. ياله من زكي ،لكن هل سيكفى ذلك حتى يتركهم إبرهة لحالهم ؟ ، رحب إبرهة بعزام ، وكأنه ضيف ينتظره منذ وقت طويل.

- أهلًا بك يا سيد قريش.

ومن هؤلاء ؟

جاوبه عزام بتلقائية:

- إنهم ضيوفي.

- أهلا بضيوف سيد قريش.. وضيوفك هم ضيوفي .. تفضلوا تفضلوا .. اجلسوا هنا حولى.

جلس إبرهة على كرسيه ،وعاد الأمر كما كان .. صواني من الطعام والشراب أمامهم ، والراقصات تتمايل عليهم ، أعطى عزام الكاميرا حينها لفهمى المنشغل بالراقصات فرحًا.

- قشطة أوى ..أول مرة تعمل حاجة تنجينا يا أبو العزازيم.

طلب منه أن يصوره بالكاميرا.

- يا عم سيبنى بقه فكك منى.

أصر عزام على ذلك.

- صور بس .. اسمع الكلام بقولك.

تعجب إبرهة الحبشي من هذه الكاميرا المعلقة في يد عزام مستفسرًا:

- ما هذا الشيء الذي تحمله في يدك يا سيد قريش ؟

أجابه عزام بعدما أجبر فهمي على التصوير:

- لا تشغل بالك إنها دمية.

تحولت نبرة صوت إبرهة إلى الجدية التي لا تخلو من الاحترام والترحيب.

--قل لى يا سيد قريش.. ما حاجتك ؟

كان عزام راغبًا في تصوير ما سيحدث الآن لغرض ما في نفسه.

واستغل فهمي للقيام بذلك لعدم قدرته على ذلك بنفسه ببساطة ؛ لأنه سيكون بطل هذا الحدث.

همس حينها قلقاس لعزام :

- قوله عاوزين طيارة....طيارة.

رغب قلقاس في أن يحضر لهم إبرهة طائرة ، لكن من أين يحضرها ؟ وهو يغزو بيت الله بجيش أحسن ما فيه الأفيال. أدرك عزام ذلك جيدًا لذلك لم يستمع إلى قلقاس ، واقترب من إبرهة فخورًا بنفسه .

- رد لى بعيري.

توقفوا جميعًا عن الأكل وتوقف فهمي عن التصوير.....نهض إبرهة من كرسيه مقتربًا من عزام غاضبًا ، والشر يتطاير من عينيه . توقفت الطبول بعد أن شاور لها إبرهة بالتوقف وكذلك الراقصات وسط ترقب الجميع لثورة عارمة تطل من أعين إبرهة الحبشي ؛ فنطق في عصبية زائدة عن الحد:

- ماذا ؟ أنك كنت قد أعجبتنى حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين نطقت..اتكلمنى فى مائتى بعير ، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟

همس آدم وفهمى إلى عزام الواقف فخورًا بنفسه المشاور إلى فهمي لاستكمال التصوير:

- رد يا خويا.. رد يا فالح .

نطق عزام وياليته ما نطق .. يبدو أن ما قرأه في هذا الموقف المدرج بالتاريخ الإسلامي يحاول تطبيقه بالحرف الواحد.

- إنى أنا رب الإبل ، وأن للبيت ربًا سيحميه.

صرخوا لاطمين على وجوههم ما عدا عيسى الناظر شذرًا تجاه إبرهة الحبشي:

- يا لهوووووى.

حافظ مش فاهم .. حافظ مش فاهم .

تقدم حينها عيسى ناحية إبرهة مهددًا له بحدة:

- احترس فنهايتك قد حلت.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها عيسى عن هدوئه.

لطموا مرة أخرى على وجوههم مرعوبين.

حينها اقترب إبرهة مستهزئًا من عيسى ناظرًا له:

- ومن يقدر على نهايتى ؟

جاوبه عيسى بثقة شديدة ، وبإيمان عارم نابع من قلبه مشاورًا ناحيه السماء:

- سرب من الطيور يرميك بحجارة من سجيل ؛ فيجعلكم كعصف مأكول.

ردد إبرهة كلامه مستهزئًا ضاحكًا:

- عصف مأكول ؟ طيور ؟

ضحك بهيستريا وضحك معه الجميع مستهزئين ... تعالت ضحكاتهم ،وكأنهم يتسابقون في السخرية من عيسى .. دخل حينها أحد جنود إبرهه مستئذنًا:

- مولاى إبرهة الحبشي.

صمت الجميع .

obeikandl.com

- ماذا ؟

سأله إبرهة:

- هناك رجل يريد مقابلتك يقول إنه عبد المطلب سيد قريش.

حينها نظر لهم إبرهة بحدة متسائلًا:

- ماذا ؟ إذن من أنتم ؟ ومن أنت ؟

تمنيا فهمى وآدم وقتها أن تنشق الأرض وتبتلعهم .. تمنيا أن يجريا..نظرا إلى عزام ،وكأنهما راغبان في الانقضاض عليه لقتله .. صرخا الاثنان خائفان لإبرهة:

- والنبى يا عم فكك مننا والنبى.

لم يكن الرعب من نصيب عزام أو عيسى ؛ فكانا فخورين جدًا بما فعلاه بينما لطمت فهدة على وجهها كثيرًا ،وساد الصمت على قلقاس المحتفظ بابتسامته طوال الحدث.

صرخ إبرهة بعصبية شديدة:

- يا حراااااس.

دخل الجنود سريعًا قبل أن ينهى ندائه ممسكين بهم.

- خذوهم واحتفلوا بهم ؛ حتى يعترفوا.

اقتادوهم جميعًا بينما اقترب إبرهة من فهدة المثيرة ، وأمسكها من ذراعها وبنظرات شهوانية:

- أما هذه ؛ فإنها لى.

اقتادوهم إلى إحدى الخيم وامتلأت عينى فهمى بالدموع فقد ضاعت فهدة أمام عينيه دون أن يقوى على التمسك بها أو الدفاع عنها ....يعلم جيدًا أنه لو نطق سيموت في الحال..لا مفر من أن فهدة ستقضى ليلتها في أحضان إبرهة الحبشي..من يستطيع أن ينطق أو يمنع ذلك ؟ حتى هى لا تقوى على الرفض. ضاعت فهدة....أدرك فهمى ذلك جيدًا.

- وقف الحراس جامدي الوجوه.. داخل إحدى الخيم الكبيرة بعدما قيدوهم الخمسة بجوار بعضهما البعض على قطعة خشبية مستطيلة.. قيدوهم بالحبال جيدًا.. نزعوا ملابسهم العلوية.. لا فاصل بين أجسادهم ،وتلك الكرابيج في أيدى الحراس..تستمع إلى صوت الكرابيج على أجسادهم تعلو على صوت صراخهم....ضربوا بقوة متناهية.

صرخ قلقاس بكل طاقته حين رأى أحد الحراس يبحث في ملابسهم لعله يجد شيئًا ما يدل على شخصيتهم..تعالت صرخته رافضًا حين وجد هذا الحارس جهاز قلقاس..لم يفهم ذلك الحارس ما هذا الجهاز ؟ لكن صرخات قلقاس جعله يشعر أنه مهم بالنسبه له .

تعالت صرخات قلقاس:

- بلاش الجهاز ده...بلاااااش.

توالت الضربات على ظهورهم تاركة آثارها الدامية ... بينما وضع الحارس جهازه على الأرض مقررًا استفزاز قلقاس لأبعد حد .. بهتوا جميعًا عندما رأوا ذلك..توجعوا أكثر وأكثر .. يبدو أنها النهاية.

طالما تعلقوا بالأمل في العودة إلى أوطانهم .. طالما كان هذا الجهاز الصغير وزره الوحيد هو النافذة الصغيرة التي حاولوا مرارًا وتكرارًا المرور خلالها .. ضاع الأمل .. تساقطت آمالهم في آن واحد.

رفع الحارس مطرقة كبيرة ببطء في الهواء مبتسمًا باستفزاز وهوى بها على الجهاز ليحطمه وسط صراخهم جميعًا رافضين.

- لاااااا.

obeikandl.com

قارئة الفنجان

تعالت صرخاتهم.. بح صوتهم من كثرة الصراخ..أصبح الألم داخلهم مكتومًا يعتصر قلوبهم .. تعالت أصوات ضربات قلوبهم.. غرقوا داخل تلك الدوامة الزمنية.. تلك التي اعتادوا المرور بها.. لكن هذه المرة تختلف عن غيرها من المرات السابقة .. ازدادت سرعة هذه الدوامات بقوة .. لا يقوى أحد على التماسك.. كأنهم مربوطون بحبل سميك في صاروخ انطلق لتوه إلى الفضاء.. سرعة رهيبة.

لا يسمعون شيئًا سوى صوت إطلاق رصاص كثيف أشبه بذلك الصوت الذي تسمعه في الحروب العنيفة ، لفظتهم البوابة الزمنية ليجدوا أنفسهم في ساحة واسعة تناثر في كل شبر منها عدد كبير من الجثث ، والقتلى .. أصوات النيران من حولهم متواصلة .. نظروا حولهم برعب .. لا بد أنهم نقلوا إلى زمن ما في وقت حرب.. أصوات القذائف تلقى عليهم وحولهم من الطائرات الحربية المحلقة فوقهم بكثافة. ازداد الرعب في أعينهم ...عثر عزام عزام على الكاميرا...عثر على معشوقته في هذه الرحلة المميتة بجواره فوق أحد الجثث.... فرح بها..أمسكها وبدأ يصور بها وسط صرخات آدم المرعوب:

-بتصور اييه ؟

تناثرت الدماء على وجوههم المنبعثة من آثار القذائف على الأجساد الممدة حولهم على

الأرض في كل مكان ، كان المنظر مرعبًا للغاية.. دماء تتطاير .. قذائف تلقى..أصوات الطائرات المرعب..رعبهم يزداد ، لحظة بعد لحظة.. لم يقوا حتى على النظر لبعضهم البعض.. جذبوا مرة اخرى إلى الدوامة الزمنية ، وكأنهم قطع صغيرة من الحديد يجذبها مغناطيس عملاق .. غرقوا في الدوامة كذلك الذي يغرق في البحر في مكان سحيق بعد غرق سفينته مباشرة إلى القاع .

قذفوا في مكان آخر.. وجدوا أنفسهم وسط مجموعة من البيوت القديمة ذات الدور الواحد..صرخات الناس تتعالى فيها..الجثث متناثرة حولهم..أصوات القذائف تزداد.. والدم يتناثر أكثر وأكثر..جروا وسط الناس الصارخين ،وبيوتهم تتهدم..صرخوا بكل طاقتهم بينما انشغل عزام بالتصوير.

كان عزام سعيدًا بما يحدث..التجربة مثيرة بالنسبة له..وعلى الرغم من صرخاته التي تتعالى على صرخاتهم من الخوف والرعب مثله في ذلك كمثل أى إنسان .....فالخوف غريزة آدمية لا يستطيع أحد إيقافها لكنها لا تمنع سعادته ؛فكان يصرخ فرحًا والرعب يملؤه .. يصرخ كالذي يقضى يومه في مدينة ألعاب للملاهى يصرخ من مل لعبة خطرة إلى أخرى .. لايدرى عزام لماذا تتردد في أذنيه المقدمة الموسيقية لأغنيه قارئة الفنجان لعبد الحليم حافظ ؟ ملأت أذنيه وكأنها الموسيقى التصويرية لما يحدث لهم .

جذبهم المغناطيس مرة أخرى.. غرقوا بشدة داخل الدوامة وصرخاتهم تتعالى.. لا يدرون ما نهاية ذلك ؟ دهش آدم حين وجد نفسه جالسًا أعلى دبابة وسط إطلاق قذائف عنيفة ، كان المكان صحراويًا معبأ بالأتربه والنيران تتصاعد بين الجانبين..كانوا جميعًا فوق هذه الدبابة ، ما زالت أجسادهم تتوجع من الآثار الدامية للكرابيج ، صرخ عيسى:

- لله الأمر من قبل ،ومن بعد.

- لله الأمر من قبل ،ومن بعد.

- لله الأمر من قبل ،ومن بعد.

التفت الدنيا حولهم .. وجد آدم نفسه داخل طائرة حربية تمطر الأرض بالقذائف.. جحظت عيناه وهو يرى الموتى والجرحى من أعلى .. صرخ حينها في قلقاس بجواره وسط ذهول فهمي وعيسى وعزام المستمر في التصوير:

- الطيارة أهى يا عمى.. الطيارة أهى.

لا أحد يصدق ما يحدث.. أنه خارج نطاق العقل البشري..كان آدم يأمل في الخروج من هذا المأزق ، شاور على الطائرة لعمه قلقاس ، والأمل في عينيه ، لكن قلقاس قتل الأمل داخله حين جاوبه ، وكأنه يولول كالمرأة التي مات زجها:

- بس مفيش جهاز.. بس مفيش جهاااااز.

صرخوا حينها في آن واحد..صرخوا ،وهم يجذبون داخل تلك الدوامة اللعينة بقوة رهيبة. صرخوا والقذائف تقترب منهم في أماكن متعددة.

صرخوا وهم رابضين فوق خيول تجرى وسط معركة ضخمة من حاملى السيوف ، ولم يكن معهم أى درع أو سيف يدافعون به عن أنفسهم .. لا يسمعون سوى صوت صهيل الخيول الممتزج بصوت تقارع السيوف .

صرخوا بكل ما لديهم من قوة ....جذبوا إلى تلك الدوامة اللعينه مرات ومرات ،وصرخاتهم تتعالى أكثر وأكثر:

- كفاية حروب بقه ....كفاااااية.....كفاااااية.

قالها آدم بكل قوة ، قالها وكل ذرة في جسده تصرخ بها.. لم يدرِ حينها أن القدر سيستجيب له.. لم يدرك الشيخ عيسى أن دعوة آدم ستستجاب لها بمجرد النطق بها ، برقت أعينهم جميعًا .. وقفوا منهكين عاريين الجسد من أعلى ،والدماء تتساقط منهم وسط ميدان التحرير ...استنشقوا الهواء ،وكأنهم يتنفسون لأول مرة .

نظر آدم حوله غير مصدق..أنها هى.. نعم أنها صور الرئيس المعزول محمد مرسي موضوعًا عليها علامه الأكس ومكتوب تحتها ارحل.. تنتشر في كل أرجاء الميدان..لا بد أنهم في عام ٢٠١٣ جروا جميعًا في فرحة عارمة وسط الناس المبتعدين عنهم بسرعة كبيرة .. شكلهم مخيف بالنسبة لأى أحد ، حين تراهم على حالتهم هذه تعتبرهم كالمجانين أو كأشخاص موتى نهضوا من قبورهم للتو.

صرخوا الخمسة ، وكأنهم يتمسكون بالأمل بكل قوتهم:

- استنى هنا!!!.

حاولوا التمسك بأرجل المتظاهرين خائفين صارخين:

--خلينا هنا!!!!.

جذبتهم الدوامة مرة أخرى بعنف شديد ، صرخاتهم تدوى بقوة والحزن يعتصر قلوبهم جميعًا.. قذفوا في أرض صحراوية واسعة جرداء لا تسمع فيها أى صوت ..لا نيران ولا قذائف ولا قتلى أو جرحى..لا تسمع سوى صوت الرياح تدوى حولهم وسط هذه الصحراء ورمالها الصفراء ، أظل عليهم القمر ، وكأنه ينظر لهم مشفقًا عليهم ، تساقطوا جميعًا من التعب على الرمال واحدًا تلو الآخر ، الهدوء بعد العاصفة ، الدموع تتساقط من عينى آدم الذي يجلس في مكانه حزينًا مهمومًا بقلب مقهور ، سقطت دموعه وسقط معها كل شىء ، كتبت نهايته أمام عينيه ، الآن لا طائرة ولا جهاز ، أدرك الآن أنه سيموت ، غريبًا طريدًا مشردًا ، سيموت بعد أن ذاق مرار الفراق ، قتل الأمل في داخله ، لا أمل لا حب لا حياة ولا أى شىء ، نظروا لبعضهم البعض ،وكأنهم يلقون باللوم كل على الاخر ، واليأس يملؤهم ، اقترب قلقاس من آدم الباكى بينما تمتم عيسى حزينًا:

- لا إله إلا الله - لا إله إلا الله.

احتضن عزام الكاميرا في حزن ،وكأنها صديقته التي تشعره بالدفء في ليالى الشتاء الباردة ، اقترب قلقاس ،ونظر لآدم معتذرًا:

- أنا أسف..أسف يا آدم.

انهالت دموع آدم تلاحق بعضها البعض ،وشاركه فهمي في البكاء بحرقة بينما ردد عيسى كلام الله عز وجل:

- ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾

نظر قلقاس للأفق شاردًا:

- أنا كنت عاوزهم يعرفوا .. كنت عاوزهم يعيشوا..كنت عاوزهم يغيروا ويتغيروا ، ضم عزام كاميرته إلى حضنه أكثر وأكثر حينها حدثهم عيسى بإيمان وخشوع:

- قدر الله وما شاء فعل .. احنا ننام دلوقتى ،وفى الصباح نبحث عن الطريق.

- انهى طريق ؟

سأله آدم في حسرة وحزن.

اقترب عزام ناحيتهم:

- خلاص.. خلاص يا آدم..اى كان الزمن اللى احنا فيه.

لازم نعيش..نعيش ونتعايش.

نظر بعدها عزام ناحية الأفق هامسًا :

- مفيش مفر من كده.

ردد عيسى أكثر من مرة:

- لله الأمر من قبل ،ومن بعد.

- لله الأمر من قبل ،ومن بعد.

ود آدم لو كان يعيش الآن على سطح القمر الناظر إليه بحزن وحسرة ، ود لو أنه كان عدم لا وجود له في هذه الحياة ، ظل ينظر إلى القمر حتى غلبه النوم ، غلبهم النوم جميعًا في أحضان ضوء القمر المظلل عليهم بضيائه بينما ظل قلقاس جالسًا في أحد

الأركان شاردًا.. لم يتوقع قلقاس أن ينقلب الحلم إلى كابوس..لم يدرك أن أحلامه وآماله ستتحطم بهذه السرعة.. كتب إصبعه شيئًا ما على الرمال.. همس بها وهو يكتبها :

- حبيبتى رغم كل الأسى تبقين حبيبتى.

قالها قلقاس متنهدًا معبرًا عن عشقه للدنيا..كم من الليالى سهرها يحلم بالشهرة والمجد؟ أحب الدنيا بجنون..لم يتزوج أو يحب امرآه في حياته .. كانت الدنيا معشوقته الوحيدة.. كانت كل شيء بالنسبة له.لم يلحظ قلقاس صديقه عزام الواقف أمامه ينظر له .. اقترب منه ، وجلس بجواره ناظرًا إلى الأفق مثله ، سيطر الصمت عليهما لحظات عديدة ...بدأ بعدها عزام بدندنة أغنيته المفضلة.. دندن أغنية عبد الحليم حافظ..قارئة الفنجان والدموع تتساقط من عينيه ببطء.. دندن بها وكأنه يرغب في إيصال رسالة ما إلى قلقاس ، وكأن عبد الحليم قد غنى هذه الأغنية لهما .

- بصرت ونجمت كثيرًا لكنى لم أقرأ أبدًا فنجانا يشبه فنجانك

بصرت نجمت كثيرًا لكنى لم أعرف أبدًا أحزانًا تشبه أحزانك.

ابتسم قلقاس ودندن معه حزينًا.. فهم ما يرنو إليه عزام بالأغنية.

--مقدورك أن تمضى أبدًا في بحر الحب بغير قلوع

وتكون حياتك طول العمر .....طول العمر كتاب دموع.

رأى قلقاس حياته أمامه كشريط سينما متتابعة.

استيقظ آدم على غنائهما وابتسم مدمع العينين .. بينما نهض عزام وقلقاس ، واحتضنا بعضهما البعض وغنيا بحماس:

- فبرغم جميع حرائقه وبرغم جميع سوابقه

وبرغم الحزن الساكن فينا ليل نهار وبرغم

الريح وبرغم الجو الماطر والإعصار

الحب سيبقى يا ولدى

الحب سيبقى يا ولدى أحلى الأقدار

يا ولدى ياولدى.

ابتسم آدم حينها بعدما شعر بالأمل المنبعث إليه منهما.. تلك الصرخة المكتومة النابعة من داخله ، هل يعقل أن يكون هناك أمل ؟ أمل في العودة..انتقل الحماس منهم إلى داخل آدم وغلبه النوم مبتسمًا أملًا في الغد القريب.

obeikandl.com

obeikandl.com

سيد الجتة

أشرقت الشمس بيوم جديد ، أرسلت ضيائها على وجوههم اليائسة المحملة بتراب السنين ، تلك السنين التي عجزوا عن إحصائها ، فقدوا القدرة على التمييز ، لو كان هناك عداد لتلك السنوات التي مروا بها كذلك الذي يحصى عدد المتفرجين على أحد القنوات التلفزيونية ، إذا وجد هذا العداد لأصابك بالذهول من الرقم الذي سيكتب لأعمارهم ، سيكون نفس عمر البشرية بأكملها...تبًا لهذا الجهاز ، تبا لقلقاس ، أصبحت أعمارهم كعمر البشرية بأكملها ، شاخت أعمارهم كملايين الملايين من السنين.

أشرقت الشمس وهم يمشون يجرجرون أرجلهم المغروزة في رمال الصحراء يتساقطون من التعب ، والإجهاد لا يقوون على الرؤية ؛ فأشعة الشمس قوية للغاية.

وقف آدم فجأة مذهولًا لا يصدق ما تراه عيناه....نظر لهم فوجدهم جاحظى الأعين ، يبدو أنهم رأوا ما رأه ، طريق أسفلتى تتحرك فيه السيارات ذهابًا وإيابًا.

شيء لا تصدقه عقولهم ، هل يعقل أنهم عادوا بهذه السهولة إلى زمنهم ؟ هل يعقل أن الحل كان في تحطيم الجهاز ؟ ، لو كان يعلم آدم ذلك لحطمه من البداية ، لو كان يعلم لما مات من مات ولما مروا بهذه التجربة القاسية.

صرخوا جميعًا في آن واحد ، وهم يجرون تجاه الطريق:

- أسفلللللت.

وقفوا في عرض الطريق كالغريق الذي وجد لوح خشب لينقذه من الغرق ، حاولوا إيقاف السيارات ، لكنها كانت تتفادهم ، آثار الدماء على أجسادهم العارية ، كان شكلهم مخيفًا للغاية ، لم ييأسوا وحاولوا.

مشاورين للسيارات:

- استنى....استنى.....استنى.....استنى....استنى.

توقف أحد التاكسيات لهم.....توقف فجروا ناحيته ،وركبوا.

ركب آدم في الكرسي الأمامي بينما ركب الأربعة في الكنبة الخلفية.

تشاهد عيسى سعيدًا:

- أشهد أن لا إله إلا الله ،وأن محمدًا رسول الله.

نظر لهم سائق التاكسى بلامبالاة ، وانطلق بهم في طريقه دون أن يعرف حتى أين يذهبون ؟

تفحصهم السائق واحدًا تلو الآخر ، كانوا جميعًا شاردين كل يفكر فيما سيفعل الأيام القادمة.

آدم سيتزوج من محبوبته رضوى ، ويعيش معها أجمل أيام حياته وسيلقى هذه التجربة القاسية وراء ظهره ..سيمحيها من ذاكرته ، سيبدأ فهمى حياة جديدة ، وسيتزوج ويستقر بعدما رأى الموت بعينيه أكثر من مرة ، عزام سيؤلف كتاب عن هذه التجربة ، وسيسميه تجربتي في التاريخ وسيحقق هذا الكتاب أعلى المبيعات بالإضافة إلى الشريط الذي صوره سيصبح أشهر من مروا في تاريخ البشرية ، ولم يفكر عيسى في شيء سوى رغبته في احتضان أولاده ، والعيش وسطهم ما تبقى من عمره.

obeikandl.com

ماذا عن قلقاس؟ كان شاردًا للغاية...لكنك لا تستطيع قراءة ما بداخله ، كان قلقاس دومًا غامضًا ، إذا نظرت داخله لا ترى سوى مجموعة من الخيوط السوداء المتشابكة مع بعضها البعض.. شردوا جميعًا وهم يستمعون إلى أغنية عبد الحليم حافظ (أنا من تراب) في كاسيت التاكسى..انعكست أشعه الشمس على وجوههم لتبعث الدفء داخلهم ، بينما كان السائق المدعو سيد الجتة البالغ من العمر أربعين عامًا .....ينظر لهم باستغراب أغلق الكاسيت وحادثهم:

- ايه يا جدعان متروقوا كده.

لم يتلقَ سيد الجتة اى رد منهم ؛ فأصر على محادثتهم بإصرار سائقين التاكسى على الرغى.

- بس شكلها كانت عركة جامدة مش كده ؟

أصر أكثر وأكثر.

- فكرتونى بموقف شبه اللى حصلكم ده.

خصص حينها كلامه إلى آدم الجالس بجواره .

- بالك يا أستاذ.

مرة كنت في حته مقطوعة كده لقيتلك بتاع ٣٠ شمحطجى ملمومين حواليا وعاملين عليا كماشه بس بقه جريتهم قدامى زى الفراخ ، كان سيد الجتة هاوى للرغى والحديث عن تجاربه السابقة سواء حدثته أم لم تحدثه ، ومن وحى خياله ، استكمل حديثه:

- امال ايه محسوبك سيد ،وشهرتى سيد الجتة.

لاحظ آدم أسلحة معلقة في جوانب التاكسى مسدسات ،وبنادق قرر حينها الخروج عن صمته مستفسرًا:

- إلا قولى يا أسطى؟ ايه الأسلحه دى ؟

جاوبه الجتة بابتسامة عريضة شاعرًا بنجاحه في استدراجه في الحديث معه.

- دول حمايه يا بيه ...ولاد الحرام مخلوش لولاد الحلال حاجه ، ومن ساعة الحرب ما خلصت معادتش فيه امان.

انتبهوا جميعًا ،ونظروا لبعضهم البعض.

لاحقه آدم مستفسرًا:

- حرب ؟حرب ايه ؟

أجابه بتلقائية:

- الحرب العالمية التالتة ؟ انتوا مش في الدنياولا ايه يا خوانا ، من ساعتها لا فيه لا جيش ولا حتى شرطة.. خلصوا في الحرب واحنا بنحمي نفسينا بنفسينا زى مانت شايف.

كان كلامه صدمة كبيرة لهم .. يبدو أنهم الآن في المستقبل.. يبدوأن تحطيم الجهاز كان له آثار عكسية خرج فهمي عن صمته مستفسرًا لعلهم استمعوا خطأ إلى السائق:

- إلا قولى يا أسطى.. احنا في سنة كام.

كان الطريق مزدحمًا...تعالت أصوات السيارات وساريناتها المختلفة ...كان الصوت عاليًا فلم يسمعوا صوت الجتة ، وهو يخبرهم بالسنة التى هم فيها لكنهم رأوا حركة شفتيه تأكدوا تمامًا أنهم في المستقبل ، فتح الجتة شباك بابه ،وصرخ في سيارة بجواره بعصبية:

- عدى عدى .. ما تلاقى امك اللى جيبهالك.

دخل فهمي في هيستريا من الضحك.

- حلاااااوة.

وتبعه آدم والباقون منفجرين في الضحك ،وشاركهم الجتة في ضحكاتهم معتقدًا أنهم يضحكون على عصبيته على السيارة الأخرى التي أوشكت على الاصطدام به ....انهاروا جميعًا ضاحكون.

جلسوا جميعًا على قهوة .. جلسوا وقد تغيرت هيئتهم المهلهلة .. ارتدوا ملابس جديدة ، وغسلوا أثار الزمن والدماء من على وجوههم .. أزالوا ذقونهم الطويلة.. عادوا إلى أشكالهم التي كانوا عليها فى بداية الرحلة المشئومة..جلسوا في ضيافه الجتة الذي نادى على القهوجي.

- واد يا هيما.

جاوبه القهوجى مسرعًا:

- ايووة جاااااااى.

- واد يا هيما شوف البهوات يأكلوا ايه الأول .

امتن آدم له بشدة:

- متشكرين يا أسطى جتة يدوم العز.

شاور الجتة للقهوجى هيما البالغ من العمر الثلاثين عامًا ذو الجسد النحيل.

- يالا ياد هات اللى عندك كله.

ابتسم فهمى شاكرًا الجتة:

- متشكرين يا ريس على الهدوم.

- يا سلام يا جدعان الناس لبعضيها.

سأله قلقاس محرجًا:

- ممكن أشرب قهوة ؟

- قهوتك ايه ؟

- مضبوط.

قالها بلهفة.

نادى الجتة بأعلى صوته ؛حتى يسمعه هيما القهوجى.

- واحد قهوة مضبوط ياد يا هيما بسرعه ل .. إلا اسم الكريم ايه ؟

obeikandl.com

جاوبه قلقاس مبتسمًا:

- إبراهيم .. إبراهيم قلقاس.

- أنعم وأكرم .. تلعب طاولة ؟

جاوبه فهمى بدلًا من قلقاس:

- أنا الاعبك.

فأخرج الطاولة من جوار الترابيزة ، وبدأ اللعب مع فهمي ، كان آدم مستغربًا مما حوله هامسًا إلى الباقون:

- غريبة اوى أن كل السنين دى والناس زى ما هى اكننا في نفس الزمن.

- امال ايه ده كمان بيقولوا الناس هترجع

تانى زى أيام الجاهلية ، وهتختفى كل مظاهر الحضارة دى.

كان عيسى مؤمنًا بذلك..بينما كان عزام المحتضن كاميرته يهمس لهم معجبًا:

- بس لسه بيسمعوا عبد الحليم.

تغيرت نبرته آدم إلى الجدية حين سأل قلقاس:

- المهم أنت متأكد ولا زى كل مرة ؟

اقترب منهم قلقاس ،وكأنه يخبرهم بسر خطير:

- اسمعوا.. لو مقدر لينا نرجع يبقى أكيد

الاختراع هيكون موجود عادي في المطار

ومش معنى أن سواق التاكسى مش عارفه

يبقى مش موجود..ممكن يكون بقه حاجة

عادية أو اتركن من زمن ومبقوش يستخدموه.

أكد عزام على كلامه:

obeikandi.com

- متنسوش أننا طلعنا لقدام أوى كمان.

أحضر هيما صينية كبيرة عليها عدد كبير من الساندوتشات الشهية ، زاد الجتة في ترحيبه بهم:

- يلا يا خوانا متتكسفوش.

انقضوا على الأكل بشراهة كعادتهم.. بينما ابتسم الجتة ابتسامته العريضة.

- بالهنا والشفا.

كان الجتة مثله كمثل أى رجل في زماننا الآن ...شهم....مضياف.....كريم.....طابع كل رجل مصرى.

ابتسم الجتة بينما انشغلوا هم بالأكل.

obeikandl.com

obeikandl.com

الرجال

كانت وجهة نظر قلقاس منطقية للغاية.. فمن الطبيعى لو كتب الله لهم النجاة والعودة إلى زمانهم في أى لحظة حتى وأن كان ذلك بعد سنوات من ضياعهم ؛ فهذا يعنى أن اختراعه سيعمم وينتشر في مطارات الدولة وساعتها من البديهى أن يسافر به الناس عبر الزمن ، وأن يتواجد بوفرة في المطارات أجمعها.

تحرك الجتة سائقًا لتاكسيه بهم في اتجاه المطار مستفسرًا:

- إنما انتوا متأخذونيش يعنى رايحين المطار تعملوا ايه ؟

أجابه قلقاس بتلقائية:

- عادى يا أسطى هى الناس بتروح المطار ليه ؟

- يا أستاذ قلقاس لا مؤاخذة يعنى..المطار مهجور من أيام الحرب يبقى هتروحوا تعملوا ايه ؟

سأله قلقاس قلقًا:

- ليه ؟هو المطار اتدمر في الحرب ؟

- لا الطيارات زى ما هى ،والمطار سليم بس زى ما قولتلكم معدتش فيه لا جيش ، ولا شرطة ولا طيارين ولا أى حاجة..خلصوا.

obeikandi.com

مرت سيارة كبيره بجوار التاكسي كادت أن تصطدم بها حينها أخرج الجتة رأسه كالمعتاد من شباكه ، وبأعلى صوته :

- ما تلاقى أمك اللى جيبهالك.

طلب منه آدم مؤكدًا:

- معلش يا أسطى جتة ودينا انت بس المطار الله يباركلك.

- عنينا يا أستاذ آدم..يا سلام..ده أنت تؤمر.

ظل عيسى شاردًا طوال الطريق ، تساءل داخله عن ماآلت اليه أحوال أولاده ، لم يتخيل رجل مثله أن يعيش تجربة قاسية كتلك ،لكنه تغلب عليها بإيمانه بالله عز وجل ، أنه سيعلم أولاده وطلابه معانى جديدة ، نظرة مختلفة للدنيا وشدائدها ، سيعلمهم أن دين الله هو المنقذ.. المنقذ الوحيد عبر كل الأزمان.

اقترب التاكسى من ساحة كبيرة حاشدة بالناس.. اضطر الجتة للتوقف .. هبطوا جميعًا من التاكسى مذهولين.. عدد حاشد من الناس ساجدين على الأرض تشوبهم حالة مرعبة من الصمت .. ملىء الميدان الواسع عن آخره.. بينما أظلت عليهم الأشجار على جوانب الميدان ، تساءل آدم:

- ايه ده يا أسطى ؟

لم يدرِ الجتة بماذا يخبرهم ؟ آثر الصمت منذ اللحظة الأولى .....وعلى عكس طبيعته لم يقترب من هذا الأمر مطلقًا ، لا يجادل مع أحد بخصوصه.

تحركوا مخترقين صفوف الساجدين في صمت ، تذكر آدم نفس المشهد في سوق جمدة نصر ، تبًا لهذا الزمن ، تتكرر الأحداث بوجوه مختلفة ، تذكر الساجدين للأصنام عند الكعبة ، تبًا للشيطان.

يغلب بنى آدم بسهولة دائمًا وبنفس الطريقة ، لكن ما الذى يسجدون له هذه المرة؟ ما الذى أقنعهم بآلوهيته هذه المرة ؟

وقفوا في آن واحد مذهولين حين رآوا رجل في منتصف الميدان على منصة عالية....رجل قصير ذو شعر أجعد كثيف أبيض البشرة مرتديًا نظارة شمس كبيرة سوداء اللون مثل بلدته ينظر للناس الساجدين بفخر شديد ،ويحاوطه مجموعة كبيرة من الرجال المرتدين بدل رمادية اللون ، ومدججين بالأسلحة وكأنهم بودى جارد.

اندهش آدم ، ماذا يعنى ذلك؟ أيسجدون لهذا الشخص ، بماذا أقنعهم الشيطان هذه المرة ؟ومن هذا الرجل الذي اقتنع الجميع بآلوهيته ، لم يفهم أحد منهم ما يحدث بينما أدرك عيسى ذلك بوضوح....رآه جليًا أمامه كضوء الشمس ، اقترب عيسى أكثر من ذلك الرجل بمفرده بينما توقفوا هم على مسافة بعيدة يراقبان ما يحدث ،وأدار عزام كاميرته ليصور ، اقترب أكثر وأكثر وسط ترقبهم جميعًا ، أصبح على مقربة من ذلك الرجل ، أصبح في مواجهته مباشرة ، على بعد خطوات قليلة منه....نزع الرجل نظارته مبتسمًا بغرور حينها تأكد عيسى مما يدور في رأسه أنه هو ، الرجل ذو العين العوراء ، أعور العين اليسرى ، عوراء كعنبة مصفاة.

نظر له عيسى بتحدٍ كبير ، ذلك التحدى بين الخير والشر ، بين الظلم والحق ، .بين الكفر والإيمان ، أدرك عيسى بيقين لا يدع مجالًا بالشك أن ذلك الرجل هو ، المسيح الدجال الذي أخبر عنه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، كان عيسى يعرف أن الدجال أكبر فتنة ستظهر على الأرض في زمن ما ، وكتب له الله أن يراه أمامه رؤى العين.. كان يعرف أن الجهل سيسيطر على عقول البشر يومًا ما ، صرخ عيسى بأعلى صوته ، وسط ذهول الباقين:

- رفع العلم..رفع العلم..أعوذ بالله من غضب الله.

- أعوذ بالله من غضب الله.

- أعوذ بالله من غضب الله.

رج صوته أرجاء الميدان .. سقطت دمعة من عينى عزام المستمر في التصوير .. يبدو أنه أيضًا عرفه ، بسرعة خاطفة أخرج البودى جارد أسلحتهم ،وأسكنوا طلقاتها في جسد عيسى ؛ فسقط غارقًا على الأرض في دمائه الطاهرة ناطقًا بالشهادتين:

- أشهد أن لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمدًا رسول الله.

أدرك آدم حينها الخطوة التالية.. أنهم مقبلون على الموت بسرعة خاطفة.. صرخ فيهم آدم قبل أن توجه مسدساتهم نحو صدورهم:

- اجروووووا.

كانت رصاصاتهم أسرع منهم .. سقط فهمى ميتًا في الحال .. أصيب عزام برصاصة في ظهره وسط طلقات الرصاص المتواليه بكثافة ، هرب آدم بالتاكسى من أعلى الرصيف إلى ما بعد الميدان ، وفي الكنبة الخلفية قلقاس وعزام المصاب ، وسط غابة من الرصاص بينما ساد الصمت على الناس الساجدين ،وكأن شيئًا لا يحدث حولهم ، انطلقت سيارة سوداء اللون ضخمة خلفهم تطاردهم تحاول أن تحصد أرواحهم بطلقات الرصاص.

مطاردة عنيفة بين السيارتين حاول مرارًا وتكرارًا الهروب منهم لكن دون جدوى ..خرج قلقاس من الشباك محاولًا إطلاق الرصاص عليهم من تلك الأسلحة المعلقة في التاكسى.

كان عزام ينزف بشدة ، لكنه تحامل على نفسه مصورًا ما يحدث حتى آخر لحظة ، وبعد مطارده عنيفة وصلوا إلى المطار ،ووضعه آدم وقلقاس خلف أحد الجدران ليحتمى بها قبل تلك المعركة الشرسة التي استمرت لأكثر من نصف ساعة حاول فيها الطرفان قتل الآخر بأى طريقة ممكنة ، لم يكن في مقدورهم الاستمرار إلا بهذا الصندوق الضخم المليء بالذخيرة في شنطة التاكسى الخلفية.

استطاع آدم بعد عناء بتفجير سيارتهم الضخمة ؛ فماتوا جميعًا داخلها محترقين ، جرى بعدها قلقاس مع آدم على عزام الذي تساقط على الأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة في أحضان قلقاس مبتسمًا:

- خلاص يا صحبى.. الحكاية خلصت .. والكوبلية الأخير اتغنى ،ومعادتش فاضل غير القفلة قاطعه قلقاس:

- لا يا عزام.. هترجع معانا.. هترجع.

اتسعت ابتسامته:

- لا خلاص.. خلاص .. نفس النهاية مبتتغيرش ، اقترب من آدم وأمسكه من ياقته هامسًا:

- آدم ؟

- أيوة يا أستاذ عزام.

أخرج حينها الشريط من الكاميرا بأيدى مرتعشة.

- الحكاية كلها هنا.. لازم الكل يسمع ويشوف ، لازم الكل يفهم ازاى بدأت ازاى هتخلص..لازم..فاهم يا آدم ..فاهم ؟

أجابه آدم والدموع تتساقط من عينيه :

- حاضر..حاضر يا أستاذ عزام.

- أوعدنى.

- أوعدك.

استراح عزام إلى الخلف وسط بكاء آدم وذهول قلقاس استراح ودندن كعادته ، دندن بأغنية قارئة الفنجان لعبد الحليم حافظ :

- مقدورك أن تمضى أبدا في بحر الحب بغير قلووووع.

لفظ حينها أنفاسه الأخيرة مبتسمًا ، بكى آدم بحرقة بينما زاد ذهول قلقاس .. مات صديقه الوحيد..مات شريكه الأوحد.. مات محركه الرئيسي ، ومصدر معلوماته.. مات عزام.

obeikandl.com

الحفلة

عاد آدم وقلقاس..عادا بعد رحلة قاسية..عادا بعد فقدان الجميع..لم يقوَ أحد على تحمل ما تحملاه .. رائحة الموت تعلقت بأنفهما كما تتعلق الطفلة في أحضان أمها.. عادا بعد أن وجد قلقاس جهازه بوفرة في المطار ، عادا ناجين من الموت بأعجوبة ، وقفت مذيعة للتليفزيون المصري أمام قاعه المؤتمرات .. .تذكرك بلبنى الشناوى حين تراها ، نفس الطريقة المصطنعة ونفس الدلع ، وقفت في زحام شديد من الناس تتحدث امام الكاميرا والأضواء تتلاعب خلفها احتفالًا بقدوم قلقاس وآدم .

- تداعيات كبيرة أعزائي المشاهدين لهذا الاختراع العجيب..العالم إبراهيم قلقاس يعود بعد خمسين عامًا من اختفائه ،وبصحبته قائد الطائرة المختفية آدم قلقاس.

جلس قلقاس داخل قاعة المؤتمرات يتحدث بفخر عن اختراعه ،وبجواره آدم الشارد تمامًا..لا يسمع ما يدور في هذه القاعة ..كانت الصدمه كبيرة عليه...تحجرت الدموع في عينيه ، وقفت نفس المذيعة في ساحة قاعة المؤتمرات بطريقتها المصطنعة.

- حفل ضخم يقيمه السيد الرئيس للاحتفال بالعالم إبراهيم قلقاس..ومفاجأة الحفل يطلقها السيد آدم قلقاس..ترى ما هى هذه المفاجأة ؟.. تابعونا.

obeikandl.com

نوى آدم أن ينفذ وصية عزام..قرر عرض شريطه الذي عكف عزام على تصويره طوال الرحلة فة هذا الاحتفال أمام الجميع..استحق عزام أن يتوج مجهوده ،وحياته التي انتهت أمام عينيه بهذا الشريط..الشريط الذي سيعرضه ،وينشره بعدها في كتاب بعنوان عزام في التاريخ ، لم يصدق آدم عينيه حين وقف أمام رضوي البالغة الآن من العمر الخمسة والسبعون عامًا ، مر أكثر من خمسين عامًا ، لم تعرفه رضوى أو حتى تراه ،أصر على الوقوف بعيدًا حتى لا تراه ، رآها تلعب مع أحفادها في حديقة منزلها ، رآها تضحك من قلبها بينما عشش الحزن على قلبه ، بهذه البساطة انتهى كل شيء ، بكى آدم ، بكى بكل ما لديه من طاقة ، بكى والمياه تتساقط فوق رأسه ، وهو يستحم في حمام بيته ، بكى وامتزجت دموعه بالمياه ، ارتدى آدم ملابسه ناظرًا لنفسه في المرآة ، وجد نفسه شاحبًا كالموتى.

ارتدى ملابسه ،وهو يستمع إلى نشرة الأخبار في التليفزيون الصغير بغرفته ، استمع إلى صوت مذيع الأخبار مندهشًا:

- مؤتمر ضخم يعقده الزعيم أحمد عرابى بعد قليل.

- تجمع كبير حول النجم شارلى شابلن في ميدان التحرير.

أدرك آدم أن جهاز عمه انتشر بسرعة خاطفة.. لم يمضِ أكثر من ٣ أيام منذ عودتهم ٣ أيام انقلبت فيها الدنيا رأسًا على عقب..أتى الناس مسافرين بين الماضى والمستقبل كأنهم مسافرون من بنها إلى مصر.. سيطر على عقله سؤال واحد.لماذا لا يعود إلى الماضى ٥٠ عامًا إلى الوراء ؟ وتنتهى المشكلة لكنه يعلم جيدًا أن عمه كتب نفس تاريخ السنة التى خرجوا فيها على الجهاز في الطائرة إذن لماذا عادوا بعدها بخمسين عامًا؟ لعل عمه سيجيبه على هذا السؤال ، تفاجأ آدم بصورة لمومياء فرعون المحنطة تتحول أمامه إلى رجل حى بملابس فرعونية يقف أمام مومياءة في التليفزيون ، وعلى وجهه ملامح الغضب واستمع إلى صوت المذيع حينها.

- قام السيد رمسيس الثانى برفع دعوى قضائية معترضًا على المعاملة السيئة لمومياته ، ويطالب بتغيير اسم البلاد إلى جمهورية (حط - كا- بتاح) أى جمهورية الإله بتاح ، أغلق حينها آدم التليفزيون ضاحكًا ومتذكرًا عزام .. لو كان موجود الآن لأعطاه محاضرة عن هذه الجمهورية وتاريخها بالكامل .. خرج آدم بعد أن أمسك بالشريط الموعود هامسًا:

- الله يرحمك يا أستاذ عزام.

***

وقف آدم شاردًا حزينًا على شاطىء النيل ناظرًا في مياه النيل الساكنة...ساكنة تمامًا مثل حياته الآن.. السكون بعد العاصفة ، العاصفة التي أطاحت بكل من حوله ، أطاحت بكل آماله وأحلامه ، أطاحت بمستقبله ، توقفت سيارة فخمة أمامه ،ونزل منها قلقاس المرتدى بدلة شيك سوداء اللون ،واقترب منه ووقف بجواره ناظرًا مثله إلى الأفق ، سأله قلقاس:

- هتفضل واقف يا آدم ؟

تنهد آدم:

- هروح فين ؟

ابتسم قلقاس له:

- الدنيا واسعة أهى قدامك.

- بيتهيألك.

كان آدم يشعر أن حياته قد انتهت .. بُعده عن رضوى قتله .

سارع قلقاس بالنفى مبتسمًا:

- بالعكس.

سالت الدموع من عينى آدم:

obeikandl.com

- التجربة كانت قاسية أوى ، نظر قلقاس في عينيه بقوة:

- بيتهيألك.

- تفتكر هقدر أصدقك تانى ؟

كان آدم قد فقد ثقته في عمه ، فقد حبه له وولعه بشخصيته ، ليته استمع إلى صرخات والده محمد قلقاس رحمه الله عليه ، ليته فعل ذلك ، كان ستتغير حياته ككل.

استنكر قلقاس ما يرنو إليه آدم:

- بعد كل اللى عملته عشانك.

صرخ آدم حينها باكيًا:

- أنا اتسرقت.. العمر كله اتسرق.

- الدنيا كلها قدامك وأنت لسه شاب.

حاول آدم يائسًا أن يفهمه:

- ممكن أعرف ازاى عدينا كل اللى حوالينا ب ٥٠ سنة.

- قولتلك الزمن نسبى.

- أنت كتبت تاريخ نفس السنة اللى مشينا فيها ، ازاى رجعنا بعدها ب ٥٠ سنة ازاى ؟

- اسمع يا آدم بالنسبة لك أنت وأنا نفس التاريخ ، لكن بالنسبة لهم لا.

- مش فاهم.

- بالعكس أنت فهمت.. وفهمت أكتر من اللازم.. قليلين بس هم اللى فهموا .. وأنت واحد منهم ، تغيرت حينها نبرة قلقاس إلى الحدة قليلًا....لا تفهم حينها لماذا يحدثه بهذه الطريقة ؟وما الذى يرنو إليه ؟ وما الذى فهمه آدم أكثر من اللازم ؟جاوبه آدم:

- لازم الكل يفهم .. يمكن الحال يتغير.

قصد آدم شريط عزام عزام.. قصد أن يفهم الناس تاريخهم كما أراد عزام .

obeikandl.com

ازدادت الحدة بشكل اوضح في عينيى قلقاس:

- بالعكس ..لو الكل فهم تبقى اللعبة خلصت.

الكنز في الرحله نفسها مش في نهايتها.

- يعنى ايه ؟

- هات الشريط يا آدم.. هاته.

قالها قلقاس بصيغة آمرة.. لم يرَ آدم عمه بهذا الشكل من قبل ، عينيه حادة للغاية ، تساءل آدم بداخله ، لماذا يحدثه عمه بهذه الطريقة ؟ ولماذا يرغب في أخذ الشريط منه ؟ لماذا ؟ رد عليه آدم والتساؤلات في عينيه:

- مقدرش أنا وعدت أستاذ عزام.

ازدادت عصبية قلقاس لدرجة أشبه بالتهديد:

- أنت ليه مش عاوز تفهم ؟

انقلب الحديث إلى صراع بين الاثنين ، جاوبه آدم بتحدٍ:

- ما أنت لسه قايل إنى فهمت.

أدرك قلقاس وقتها أن عليه تأجيل هذا الصدام الآن ؛ فتحولت حدته إلى ابتسامة عريضة لا تخلو من الخبث.

- طب .. نأجل الكلام لبعد الحفلة

وافقه آدم على الفور:

- ماشى.

- يلا بينا.

- يلا.

انصرف الاثنان راكبين في الكنبة الخلفية للسيارة الخلفية ، وانطلقت بهما ، انطلقت بهما في طريقها إلى قصر الرئاسة ؛ حيث الاحتفال الضخم على شرف قلقاس العالم الكبير.
تساءل آدم داخله ،وهو يختلس النظر إلى عمه:

- ليه أستاذ عزام موصاكش أنت ، ليه ما اداكش أنت الشريط ، ليه مصر على أنك تاخده منى ، أسئلة متعددة تبعث في نفسه الشك تجاه قلقاس ، وصلت السيارة بهما أمام باب القصر الرئاسى وسط تجمعات كبيرة من الناس الهاتفين بحماس:

- بنحبه نحبه ..قلقاس.

- حبيب الكل .. قلقاس.

- أب الكل.. قلقاس.

- كبير الكل.. قلقاس.

فتح آدم فمه مستغربًا ، أنه نفس الهتاف المتكرر عبر الأزمنة ، نفس الهتاف لكبير القبيلة في عصر جمدة نصر ، نفس الهتاف لأبو جهل في عصر الجاهلية ، نفس الهتاف في كل العصور ، ماذا يعنى ذلك ؟ الآن نفس الهتاف لقلقاس ، قلقاس المحيى الكل بيديه مشاورًا بفخر.. قلقاس الذي استقبله عند باب القصر مجموعة كبيرة من البودى جارد المرتدين بدل رمادية اللون ، تبًا لذلك ، أنهم نفس البودى جارد المصاحبين سابقًا للمسيح الدجال ذلك الرجل الأعور في المستقبل ، نفس البودى جارد الذي فجر سيارتهم ، وماتوا محترقين أمام عينيه ، برقت عيناه غير مصدق ما يرى مع استمرار الهتافات حوله.

دخلا إلى القصر ،وتفاجأ آدم بما هو أكثر من ذلك ، شيء لا يصدقه عقل ، نظر في وجوه الحضور واحدًا تلو الآخر ، لم تصدق عينيه ما تراه ، الرئيس زكي العوامري ، ومنير بك وفخري أبو الروس ، لبنى الشناوى ،وفؤاد وحميد وأصدقائه الشباب السيس ، كل من كانوا بالطائرة ما عدا عزام وعيسى واقفين وسط الحضور يصفقون لقدوم قلقاس بحرارة شديدة.

اعتقد أن هذا من وحى خياله ، عله يهلوس ، لم يصدق عينيه حين رأى قلقاس يتجه ناحية كرسى كبير وسط القصر ، الكرسى الوحيد الموجود بهذه الساحة ، كرسى ضخم مرصعًا بالذهب يشبه كرسى الملوك القدامى.

ذهل حين التفت جانبه ؛ فرأى الرئيس السادات وجمال عبد الناصر واقفين بجوار هتلر وموسيللينى ، ذهل حين رأى إبرهة الحبشي واقف مع بعض جنوده .....ذهل بهذا الرجل المتراقص الذي رأه في عصر قوم لوط أثناء الاحتفال واقف مع بعض من رأهم في الاحتفال الخاص بهم ، رأى سعد زغلول بطربوشه يتحدث مع الرئيس محمد حسنى مبارك ،وبجوارهما محمد مرسى ينظر إليهما شذرًا ، رأى رمسيس الثانى بملابسه الفرعونية وسط مجموعة من جنوده ، ذهل أكثر وأكثر حين رأى ذلك الرجل الأعور (المسيح الدجال) واقف بجوار كرسى قلقاس الضخم المبتسم بانتصار ، انحنى الجميع لقلقاس العجيب أن كل من كانوا بالطائرة رأهم ما عدا عزام عزام صديق قلقاس الوحيد ،والشيخ عيسى ، ما معنى هذا ؟ لماذا الاثنان فقط المختفيان ؟

اقترب آدم حائرًا يكاد تقتله حيرته من قلقاس و سأله :

- ممكن افهم ايه ده ؟ وازاى ؟

ضحك قلقاس بقوة:

- غريبة مع أنك فهمت.

تعالت ضحكاته عاليًا ،وكأنه يضحك في مكبر للصوت..ملأت ضحكاته أرجاء القصر ، وامتزجت مع هتافات البعض:

- بنحبه نحبه ...قلقاس.

- حبيب الكل ...قلقاس.

- أب الكل..قلقاس.

- كبير الكل.. قلقاس.

أخرج البعض الآخر مجموعة من الطبول .. ذهل آدم حين رأهم يطبلون عليها بنفس الإيقاع الذي يعرفه...نفس الإيقاع الذي اعتاد على سماعه في رحلته القاسية.. نفس النغمة التي رقص عليها القرد وسط الجثث في عصر هتلر..نفس النغمة التى رقصت عليها النساء العمالقة في عصر جمدة نصر.. نغمة القرداتى .. العجيب هذه المرة أن من يرقص على هذه النغمة هم الرجال المتواجدين في هذه الساحة.

غنوا بشكل جماعى بينما رقص الباقون:

- الليل الليل.. ال ياميمون.

يبدو أن ميمون ليس مجرد اسم قرد ، يبدو أنه رمز للعرائس الماريونين المتراقصة عبر كل الأزمنة ، رمز للسخرة والذل والهوان ، الآن فقط تعرف معنى كلمة ميمون ، الآن فقط تعرف من هو ميمون ؟

استمرت ضحكات قلقاس عالية ممتزجة بالهتافات ،وبنغمة الطبول ....دارت الدنيا بآدم ،وكأنه في دوامة أشد من الدوامة الزمنية التي اعتاد على المرور بها.....صرخ آدم بكل قوته مستنجدًا:

- يا أستاذ عزاااام ..يا شيخ عيسى.

أحس آدم بداخله أنهما القادران على إنقاذه ... صرخ بكل قوته:

- يا أستاذ عزاااااام... يا شيخ عيسى.

تحولت الإضاءة حوله إلى اللون الأحمر ..استمع بعدها إلى موسيقى زار لا يدرى من أين تأتى ؟ رقص الجميع حوله في شكل دائرى ..كأولئك الراقصون في حفلات الزار .. صرخ آدم في المنتصف ممسكًا رأسه بينما تعالت ضحكات قلقاس عاليًا ، دارت الدنيا بآدم أكثر وأكثر .. دار ودار ودار ..اعتصر الألم قلبه..جحظت عيناه حين أحس الأرض من تحته...

أرض رملية..جحظت عيناه حين رأى بعضهم يحفرون بفؤوس حفر كبيرة ، والبعض الآخر ينامون في تلك الحفر ،وهم يضحكون والآخرون يدفنونهم مهالين عليهم بالرمال .

إنهم بقيرونهم.. صرخ آدم عاليًا وسط هذا العالم المجهول ..صرخ وسط طبول الزار.. صرخ وسط هذه القبور الجماعية..صرخ وسط هذه الدوامة..صرخ بأعلى صوته:

- يا أستاذ عزاااام.

- يا شيخ عيسى .

اخترق أذنيه ذلك الصوت الذي استمع إليه من قبل في الطائره..صوت سارينة الإنذار العالية ، سارينة الإنذار التي تُنبىء بقرب النهاية..بقرب الخطر..تعالت أكثر وأكثر ؛ حتى لا تكاد تسمع غيرها ، تعالت فوق صرخات آدم ..أدرك حينها لماذا لم يوصِ عزام عمه؟ تذكر حياة عمه أمامه كشريط السينما. تذكر أنه لم يسمعه قط يقرأ قرآن أو حتى يصلى ..تذكر كلام والده محمد قلقاس عنه أن غضب الله على وجهه..تذكر ذلك الكتاب الذي وجده أحد المرات عنده عن السحر الأسود. أدرك وفهم كل شيء لكن بعد فوت الأوان.. أدرك أن قلقاس ما هو سوى الشيطان الرجيم..ترددت في أذنيه جملته .

- الكنز في الرحلة مش في نهايتها.

ترددت مرات ومرات ، أدرك معناها الآن ، ترى هل هناك أمل في النجاة ، اظلمت الدنيا في عينيه ، تعالت السارينة أكثر وأكثر ، ساد الظلام ، وبقى الوضع على ما هو عليه بقى الوضع مظلمًا أملًا في شعاع النور ، أملًا في المنقذ ، المنقذ من الظلام ، المنقذ من قلقاس ، أو بمعنى أكثر وضوحًا الآن..المنقذ من الشيطان.

د/عمرو البدالي

٢٠١٤/٣/٢

فهرس

آدم قلقاس	٥
فخري أبو الروس	٢٣
الرحلة	٢٩
تل جمدة نصر	٤١
طيارة خشب	٥٧
سوق جمدة نصر	٦٧
قلقاس بن فرناس	٧٥
حفل ليالي سدوم	٨٥
يوم دامي	٩٥
آدم بن فرناس	١٠٣
الفيل صديقي	١١٣
قارئة الفنجان	١٢٣
سيد الجتة	١٣١
الدجال	١٣٩
الحفلة	١٤٥

obeikandl.com

اصدارات ليليت

عنوان الكتاب	تصنيف	اسم الكاتب
أريج الجذور	رواية	رامى عباس
مازالت الأشواك بجسدى	رواية	نادية البرعى
إلا الآن	م.قصصية	سهير شكرى
امرأءة وحيدة أحبتنى	م.قصصية	مصطفى ثابت
رئيسًا لمدة ١٢ دقائق	م.قصصية	أسامة الحسينى
أميرة الدموع	رواية	محبوبة سلامة
بعث رُوّي	تاريخ	عادل خميس
أيُووه يا بيسو	ساخر	قدرى نوّار
فيها لامؤاخذة حاجة حلوة	ساخر	خالد بيومى
هيدرا .. رياح الشك والريبة	تاريخ	زهير الكاشف
رفاهية الألم	فلسفة	سالم ابراهيم سالم
عالم بلا مخلِّص	فلسفة	سالم ابراهيم سالم
عريانيين عيون	شعر.ع	نور الدين الشريف
الحكاية	شعر.ع	احمد نصر
ألم واحد	شعر.ع	م.شعراء
قوللى إنت مين	شعر.ع	نادر عبد المنعم
خاطرة من الجنة	شعر.ف	يسرية سلامة
بريد الكحل واغرباء	شعر.ف	رشا زقيزق
نقوش على خرز أزرق	شعر.ف	سامح سكرمة
حجات عنيدة	شعر.ع	نور البنا
الاستنزاف التاريخى للفائض الإقتصادى	اقتصاد	محمد مدحت
نظرة	م.قصصية	نور الدين الشريف
حديث الديناصور البنفسجى	م.قصصية	نتاج ورشة أدبية
رحلة اليقين	فكر	محمد عبد الغنى

obeikandl.com

الحياة فى البلاط الملكى المصرى	مترجم	الفريد جوشوا باتلر
هذيان كل يوم	م.قصصية	مأمون المغازى
رامى مراد والغابات الكونية	رواية	مأمون المغازى
مكتوب	شعر	محمدحسين
شوشو والقناية	أطفال	فضل مسعود
كوكو ابوعرف دوكو	أطفال	فضل مسعود
بوتشر كلب الأسد	رواية	فضل مسعود
حنين	رواية	سهير عبد الله
كاترينا	أطفال	عبد الله لخليفلى
فورمالين	م.قصصية	شريف الغنّام
ألف نيلة ونيلة	أدب ساخر	أحمد السعيد
بين الحب والحرب	رواية	محمد عزب
انسان حكيم ناجح	تنمية بشر	خالد عمارة
وجفت البئر رسالة الى امرأة	نصوص	هانى عثمان
نوكيا	رواية	باسم سليمان
قصر غيلان	رواية	احمد بن عمارة
الأنفوشى	رواية	محمد عزام
موضوع	شعر	مصطفى فؤاد
مقامات الكيلانى	ادب ساخر	ماجد هاشم
روشتات شعرية	شعر	أحمد السعيد
الملكومانيا	أطفال	رضوى عادل
زوجات وأكروبات	م.قصصية	نادية البرعى
الأنفوشي	رواية	محمد عزام
مات حبا و عدوه انتحارا	شعر	أحمد إبراهيم
اعترفي بيا	شعر	محمود محمد حسن
رحلة فى صدر الأبدية	م.قصصية	بهاء الدين يحيى
قوارير	م.ق.ج	شيرين طلعت

obeikandl.com

سكارلت	م.ق	عمر كمال الدين
أرض رشيدة	رواية	عمر أحمد سليمان
أقفال العشق	رواية	محمد عزب
ستريتش	رواية	نضال كرم
لا تذهب للطبيب النفسى	انسانيات	وهبه نور الدين
حظر إرادة	تنمية بشرية	نهى مجدى
تغريبة بغداد	شعر فصحى	سامى طه
أسس قيام العراق	تاريخ	سامى المبارك
فاوست مصرى	مسرحية	محمد بهاء الدين
طريق الحرير	رواية	ابراهيم أحمد عيسى
مقالات الزهور	انسانيات	نور الدين الوافى
مدام خياط	رواية	سمير ذكى
سرابيل	م.ق.ج	هشام أبو سعده
قلقاس بن فرناس	رواية	عمر البدالى
استرجل واقرا ١٠ كتب	تنمية بشرية	باسم الجنوبى

obeikandl.com

رقم الايداع / ١٥١٥٢/ ٢٠١٤ط١
الترقيم الدولى /٩- ٨٤ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مطبعة إبراهيم سالم
01224272327 -01017180938 -01202043326

أحصل على نسختك من مقر الدار بخصم ٢٥٪